ملخص البحث:

تسعى هذه الدراسة إلى إلقاء الضوء على معارضات الشعراء لبائية أبي تمَّام في فتح (عمُّورية) في قديم الشعر وحديثه، وقد دفعني إلى ذلك سيطرة هذه القصيدة على العقل الجمعي للشعراء والنقاد والدارسين – بصور وطرق مختلفة ومتفاوتة – على مرِّ العصور الأدبية؛ ومن أجل هذا التأثر العجيب حاولت أن أجد إطارًا يجمع بين ذلك كله، فما وجدت أفضل من أسلوب (المعارضة الشعرية)، الذي يسمح للشاعر بالاتكاء على التراث؛ حيث يتخذ من (النص الغائب)، ومن قوانين (التناص) وآلياته وروافده – التي حدَّدها النقاد– سبيلًا لإنتاج نصه الجديد، وقد اعتمدت على منهج الوصف والتحليل، مستعينًا بالمنهج الاستقرائي، والمنهج التاريخي، وقد اقتضت طبيعة الدراسة أن تكون في مقدمة، وتمهيد، ومبحثين رئيسين، وخاتمة، وثبت للمصادر والمراجع، وفهرس للموضوعات. وقد جاء التمهيد تحت عنوان: (المعارضة: المصطلح والنشأة والدوافع)، وأمَّا المبحث الأول فقد جاء تحت عنوان:(المعارضات الصريحة لبائية أبي تمَّام)، والمبحث الثاني: (المعارضات غير الصريحة لبائية أبي تمَّام)، ثم الخاتمة، وقد ضمت مجموعة من النتائج كان من أهمها: اتساع دائرة التناص مع التراث من خلال المعارضات غير الصريحة لبائية أبي تمَّام في الشعر القديم والحديث؛ حيث اعتمد الشعراء على قانون (الحوار) الذي يقوم على الهدم والمخالفة للمفاهيم الثابتة، فلا قداسة لنص شعري؛ وإنَّما العبرة بتفجير الطاقات الكامنة داخل النص لإنتاج النص الجديد، الأمر الذي يؤكد على أن المعارضات التي نشأت بدافع الإعجاب لم يقبع أصحابها تابعين لغيرهم، بل كانوا في معظم الأحيان متفوقين متخذين لأنفسهم موقعًا فريدًا في ركب فحول الشعراء على مر العصور الأدبية.

الكلمات المفتاحية: بائية – أبو تمَّام – المعارضات – الشعر – العربي.

Abstract:

This study seeks to shed light on poets' imitative responses to Abu Tammām's b-rhymed ode on the conquest of 'Ammūriya' in both classical and modern Arabic poetry. I have been intrigued to undertake this study by the pervasive influence of this poem on the collective consciousness of poets, critics, and scholars throughout the literary ages, in various forms and degrees. Being obsessed by this remarkable influence, I have sought a framework that encompasses all these aspects and I have found that the 'poetic imitative response' is the best method allowing the poet to draw on the literary heritage. In this method, a poet makes the 'absent text' as well as the critic-established laws, mechanisms, and tributaries of intertextuality his way to produce a new text. I have adopted a descriptive and analytical approach, aided by inductive and historical methods. The study is organized into an introduction, a preface, two main sections, a conclusion, a bibliography, and an index of topics. The preface is entitled 'Imitative Response: The Term, Origins, and Motivations.' Section One is titled 'Explicit Imitative Responses to Abu Tammām's b-rhymed Ode Between Imitation and Intertextuality'. Section Two is entitled 'Implicit Imitative Responses to Abu Tammām's b-rhymed Ode Between Imitation and Intertextuality.' The conclusion presents a set of findings, most notably among which involves the expansion of intertextuality with the literary heritage through implicit imitative responses to Abu Tammām's b-rhymed ode in both classical and modern poetry. Poets have relied on the law of 'dialogue,' which is based on the deconstruction and destruction of the established concepts, indicating that no poetic text is sacred. Rather, the emphasis is on unleashing the latent potential within the text to produce a new one. This affirms that imitative responses born out of admiration have not led their authors to become mere followers. Instead, they have often excelled and carved out unique positions for themselves among the great poets throughout the literary ages.

Keywords: B-rhymed ode, Abu Tammam, Imitative Responses, Poetry, Arabic.

المقدمة

أحمدُك ربِّي وأستعينك، وأصلِّي وأسلِّم على خاتم أنبيائك ورسلك، سيِّدنا محمَّدٍ – ﷺ – أفصح الناس لسانًا، وأحسنهم فهمًا وذوقًا وكلامًا... ، وبعد:

فقد مرَّت محاولات الاتكاء على التراث عبر رحلة الأدب العربي ببعض العقبات وعدم الاستقرار في الرؤية والمصطلح؛ فمن العجيب أنها بدأت باتهام بعدم المشروعية؛ حيث ظهر ما يسمى بـ (السرقات الأدبية)؛ الأمر الذي حدا بكثير من النقاد رفض هذه العبارة، فأسموها بـ (الاحتذاء والمحاكاة)، بل وصموا أصحابها بضيق الأفق، وعدم شمولية النظرة، والتسرُّع في الحكم؛ على أنهم كانوا لا ينكرون أن نيَّتهم كانت صادقة؛ حيث أرادوا تسجيل السبق للمنشئ أو المبتكر الأول للفكرة أو المعنى أو الأسلوب بوجه عام .

ثم تتابعت تلك المحاولات، فكان هناك المعارضات، والنقائض، والتضمين، والاستيحاء، والإشارة، والتلميح، والاستعارة...، وقد تنوَّعت الدراسات حول كلِّ هذه الظواهر، فوضعت إمَّا في إطار التوظيف للتراث، أو استلهام التراث، أو التداخل بين النصوص، إلى أن ظهر مصطلح (التناص) الذي استوعب كل ذلك .

ولا شكَّ في أن وجود هذه الظواهر يعدُّ دلالة قوية على تطوُّر الأدب العربي، وعدم تقولب المبدع العربي وجموده، أو – إن شئت فقل – عدم وقوفه عند إبداعات الآخرين لا يتخطَّاها؛ بل ينطلق منها متكئًا عليها كمرجعية ثابتة وغائبة في الوقت ذاته لا يمكن غضُّ الطرف عنها، منتجًا نصًا جديدًا يراعي فيه حالة عصره وظروفه ومتطلباته، فضلًا عن التعبير الصادق عن الحالة الشعورية والشعرية الذي يجعله يلحق بفحول الشعراء، بل ربَّما تفوَّق عليهم.

وقد لفت نظري كثرة معارضات الشعراء لنصوص بعينها على مرِّ العصور وصولًا إلى العصر الحديث، وبالتحديد قد هالني عدد كبير من معارضات الشعراء لقصيدة أبي تمَّام (البائية) في فتح (عمُّورية)؛ الأمر الذي دفعني إلى إثارة بعض الأسئلة المشروعة: لماذا هذا النص بالتحديد؟ وما الدافع الذي دفع جمعًا كبيرًا من شعراء العصور الأدبية إلى معارضته؟ وهل معارضتهم له كانت مجرد تقليد واجترار؟

أم امتصاصًا وتحويلًا وإعادة إنتاج للمعنى؟ أم محاورة للنص لإثبات أن المعارضة فن وإبداع ينطلق من النص الغائب إلى عوالم وآفاق جديدة ورحبة؟

ومن الدراسات والأبحاث المهمة التي تتقاطع مع موضوع بحثنا:

- دراسة الدكتورة/ سمية بنت رومي: **(التناص في المعارضات الشعرية: أنواعه وآلياته، "معارضة ابن عثيمين لبائية أبي تمَّام أنموذجا")**، حيث كشفت فيها عن طبيعة العلاقة بين المعارضات والتناص، كما بينت أنواع التناص وآلياته في معارضة ابن عثيمين، وكان من أهم النتائج التي توصلت إليها: أن المعارضة هي الركيزة الأساسية للتناص...
- دراسة الدكتور/ محمد الصديق بغورة: **(المؤتلف والمختلف في شعر المعارضات: معارضة البردوني لأبي تمَّام نموذجا)**؛ حيث ركَّز فيها على أوجه التشابه والاختلاف والإضافة بين القصيدتين، مؤكدًا على أن نص البردوني كان مختلفًا بدءًا من الروي وانتهاء بالحسرة والحزن والتنديد والهجاء؛ لكنَّه على الرغم من كل المآسي المشار إليها، استلهم من شخص أبي تمَّام تفاؤلًا ختم به نصه...
- مقال الدكتور/ أيمن ميدان، في مجلة الأندلس: **(بائية أبي تمَّام في الأندلس)**، وقد أثبت فيه أن ثمة حضورًا طاغيًا حققه أبو تمَّام شاعرًا وصاحب اختيارات في الحياة الأدبية الأندلسية، حيث تعددت مظاهر الحفاوة به رواية، وإقراء، وشرحًا ومعارضة، وتضمينًا، وتخميسًا.
- دراسة الباحث/ بلال محمد محمود: **(أثر أبي تمَّام في شعراء الأندلس في القرن الخامس الهجري)**، دراسة ماجستير، جامعة اليرموك. وقد تحدَّث في الفصل الثالث عن: معارضة شعراء الأندلس لأبي تمَّام، والأصم المرواني ومعارضته لأبي تمَّام، في الصفحات ١٦٦، ١٦٧.
- كتاب الدكتور/ محمد بن شريفة: **(أبي تمَّام وأبو الطيب في أدب المغاربة)**؛ حيث عقد فصلا بعنوان: أبو تمَّام في أدب الأندلسيين، وقد تحدَّث فيه عن معارضة الأندلسيين لبائية أبي تمَّام ص٥٦- ٦٧.

- كتاب الدكتور/ عبدالله التطاوي: **(المعارضات الشعرية: أنماط وتجارب)، حيث عقد فصلا بعنوان:**(التواجد الانفعالي في الحماسات)، تحدَّث فيه عن أصداء خاصة لبائية أبي تمَّام في بائية شهاب الدين محمود، وبائية ابن القيسراني، ص ١٤٦-١٦٣.
- كتاب الباحث/ يونس طركي سلوم: (المعارضات الشعرية في العصر الأندلسي: دراسة نقدية موازنة)، حيث تحدَّث فيه عن معارضة الأصم المرواني للبائية، ص١٢٢- ١٢٤.

وقد حذوت في هذا البحث حذو الدكتور/ عبد الحميد محمد بدران، في دراسته **(عينية ابن سينا: أثرها ومعارضاتها في الشعر العربي)**، خاصة فيما يتعلق برصده للمعارضات الصريحة وغير الصريحة لهذه العينية، ودراستها دراسة ناقدة من حيث الموضوع والتصوير والموسيقى، وكان من أهم النتائج التي توصل إليها: أن المعارضات ليست ترفًا فنيًا، أو محاولة للتقليد كما ظن بعض الدارسين؛ لأن الشاعر المعارض يجهد نفسه من أجل تقديم جديد يضاف إلى رصيد القصيدة الأصل...

واهتداءً بجلِّ هذه الدراسات في ضبط بوصلة هذا البحث، ثم رغبة صادقة في إضافة لبنة جديدة لصرح المعارضات الشامخ كان عنوان هذه الدراسة: **(معارضات بائية أبي تمَّام في الشعر العربي دراسة تحليلية نقدية)**، وقد اعتمدت فيها بالأساس على المنهج الوصفي التحليلي، مستعينًا ببعض المناهج الأخرى، كالمنهج الاستقرائي، والمنهج التاريخي.

وقد اقتضت طبيعة هذه الدراسة أن تكون في مقدمة، وتمهيد، ومبحثين رئيسين، وخاتمة تضم النتائج التي توصل إليها البحث، وثبت بالمصادر والمراجع، وفهرس للموضوعات. أمَّا التمهيد فقد جاء تحت عنوان: **(المعارضة: المصطلح والنشأة والدوافع)**، وأمَّا المبحث الأول فقد جاء تحت عنوان: **(المعارضات الصريحة لبائية أبي تمَّام)**، ويشتمل على محورين، المحور الأول: (من المعارضات الصريحة لبائية أبي تمَّام في الشعر القديم)، والمحور الثاني: (من المعارضات الصريحة لبائية أبي تمَّام في الشعر الحديث)، ثم المبحث الثاني، وجاء تحت عنوان: **(المعارضات غير الصريحة لبائية أبي تمَّام)**، ويشتمل على محورين، المحور الأول: (من المعارضات غير الصريحة لبائية أبي تمَّام في الشعر القديم)، والمحور الثاني: (من المعارضات غير الصريحة لبائية أبي تمَّام في الشعر الحديث).

والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل

التمهيد

المعارضة: المصطلح والنشأة والدوافع

❖ المعارضة في اللغة والاصطلاح:

يُقَالُ: عارَضَ الشيءَ بالشيءِ مُعارضةً: قابَلَه، وعارَضْتُ كِتَابِي بِكِتَابِهِ أَي قَابَلْتَهُ. وَفُلَانٌ يُعارِضُني أَي يُبارِيني، وعارَضْتُه فِي المَسِير أَي: سِرْتُ حِيَالَهُ وحاذَيْتُه... وَيُقَالُ: عَارَضَ فُلَانٌ فُلَانًا إذا أَخذ فِي طَرِيقٍ وَأَخَذَ فِي طَرِيقٍ آخَرَ فَالْتَقَيَا، وعارَضْتُه بِمِثْلِ مَا صَنَعَ أَي أَتيت إِليه بِمِثْلِ مَا أَتى وَفَعَلْتُ مِثْلَ مَا فَعَلَ، وعارَضَه أَي جانَبَه وعَدَلَ عَنْهُ[1].

وعلى الصعيد الأدبي نجد كل من حاول التأطير لمصطلح (المعارضة) يستأنس بهذه المعاني اللغوية السابقة التي تدور حول: المقابلة والمحاذاة، والإتيان بالفعل نفسه، والالتقاء عليه التقاء تامًا أو ناقصًا.

فالمعارضات الأدبية – بوجه عام – هي: " أن يحاكي الأديب في أثره الأدبي أثر أديب آخر محاكاة دقيقة تدلُّ على براعته ومهارته"[2].

أمَّا المعارضات الشعرية –تحديدًا– فهي:" محاكاة شاعر لشاعر آخر في قصيدة يأتي بها على وزن قصيدة الشاعر المعارض وقافيتها"[3]، أو:" أن يعجب شاعر بقصيدة لشاعر فيقلدها وزنًا وقافية ومعنى"[4].

ويعدُّ الدكتور/ أحمد الشايب، من أهمِّ النقاد الذين حاولوا الوقوف على معنى مصطلح (المعارضة الشعرية)؛ حتى يتميز عن غيره من الفنون الأخرى؛ حيث يقول:" والمعارضة في الشعر أن يقول شاعر قصيدة في موضوع ما من أي بحر وقافية، فيأتي شاعر آخر فيعجب بهذه القصيدة لجانبها الفني وصياغتها الممتازة، فيقول

---

(١) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط/٣، ١٤١٤هـ، مادة:(عرض).

(٢) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة، و كامل المهندس، مكتبة لبنان، بيروت، ط/٢، ١٩٨٤م، ٣٧١.

(٣) المعجم المفصل في علم العروض والقافية وفنون الشعر، د. إيميل يعقوب، دار الكتب بيرت، لبنان، ط/١، ١٩٩١م، ٤١٢.

(٤) المعجم المفصل في الأدب، د. محمد النوتجي، دار الكتب العلمية، ط/٢، ١٩٩٩م، ١/٨٠٠.

قصيدة من بحر الأولى وقافيتها وفي موضوعها، أو مع انحراف عنه يسير أو كثير، حريصًا على أن يتعلق بالأول في درجته الفنية أو يفوقه، دون أن يعرض لهجائه أو سبه، ودون أن يكون فخره صريحًا علانية، فيأتي بمعان أو صور بإزاء الأولى تبلغها في الجمال الفني أو تسمو عليها بالعمق أو حسن التعليل أو جمال التمثيل، أو فتح آفاق جديدة في باب المعارضة"[(١)] .

ومن مجموع هذه التعريفات والرؤى يتبين للقارئ أن الشاعر المعارِض ينطلق من (أثر / نص غائب)، (تراثي أو معاصر)، فإمَّا أن يكون مسخًا منه وحبيسًا له لا يتخطاه، وإمَّا أن يتناص ويتفاعل مع عناصره البنائية جميعها، أو يسترفد من المعجم اللفظي، أو المعانى، أو الوزن والقافية؛ لينتج نصه الجديد.

ويرى الباحث ضرورة التعرف على مصطلح (التناص[(٢)])، والوقوف على قوانينه؛ لكي يتضح للقارئ ما تصبو إليه هذه الدراسة.

لعلَّ من أفضل ما قيل في مصطلح التناص: "أن يتضمن نص أدبي ما نصوصًا أو أفكارًا أخرى سابقة عليه عن طريق الاقتباس أو التضمين أو التلميح أو الإشارة أو ما شابه ذلك من المقروء الثقافي لدى الأديب، بحيث تندمج هذه النصوص أو الأفكار مع النص الأصلي ليتشكَّل نص جديد واحد متكامل"[(٣)].

---

(١) تاريخ النقائض في الشعر العربي، د. أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية، ط/٢، ١٩٥٤م، ٧.

(٢) يعدُّ مخائيل باختين أول من وضع بذرة (التناصية)، وأسهمت جوليا كريستيفا – من بعده – في بلورة تلك النظرية الأدبية، ومضمونها أن كل نص يبنى كفسيفساء من الاستشهادات، كل نص هو امتصاص وتحويل لنص آخر. ينظر: نظرية التناصية، ترجمة: الرحوتي عبد الرحيم ، مجلة علامات، ج٢١، م/ ٦، ط/١، ١٩٩٦م، ٣١١.

(٣) التناص نظريا وتطبيقيا، د. أحمد الزعبي، مؤسسة عمون للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط/٢، ٢٠٠٠م، ١١.

ولا شكَّ في أن نجاح هذه العملية يتوقف على جودة النص الغائب الذي يسهم في تشكيل النص الحاضر، بحيث يصبح رافدًا رئيسًا من روافد التجربة الشعرية، سواء كان هذا النص ظاهرًا أم خفيًا فيه[١].

أمَّا عن قوانين التناص، فتتمثل عند الدكتور/ محمد عزام، في الآتي[٢] :

(أ) الاجترار، وفيه يستمد الأديب من عصور سابقة، ويتعامل مع النص الغائب بوعي سكوني، فينتج عن ذلك انفصال بين عناصر الإبداع السابقة واللاحقة، ويمجد السابق حتى لو كان مجرد شكل فارغ.

(ب) الامتصاص، وهو أعلى درجة من سابقه، وفيه ينطلق الأديب من الإقرار بأهمية النص الغائب، وضرورة امتصاصه ضمن النص الماثل كاستمرار متجدد.

(ج) الحوار، وهو أعلى المستويات، ويعتمد على القراءة الواعية المعمقة التي ترفد النص الماثل ببنيات نصوص سابقة، معاصرة، أو تراثية، وتتفاعل فيه النصوص الغائبة والماثلة في ضوء قوانين الوعي واللاوعي.

❖ **نشأة المعارضة:**

يكاد يؤمن القارئ بتلاشي فرصة المعارضة لدى الشاعر الجاهلي الأول؛ لافتقاد المثال الذي احتذاه؛ إذ لا تُعلم الأشعار التي كانت قبل ذلك العصر، لكننا لا نستطيع أن ننفي وجود بعض النصوص الجاهلية التي تمثل بذرة للمعارضات؛ حيث يظهر من خلالها تأثر شاعر بمعاني شاعر آخر والإضافة إليها، كوصف الفرس الذي حُددت معالمه في حكومة أم جندب[٣]، مع ملاحظتها اتفاق الوزن والقافية في النصَّين. وفي العصر الإسلامي، كان المنهي عنه كل الأشعار التي تنال من قدر النبي ﷺ وأصحابه

---

(١) ينظر: قراءات في الشعر العربي الحديث، د. عبد الحميد بدران، دار الأدباء للنشر والتوزيع، ط/١، ٢٠١٧م، ١٥، ١٦.

(٢) النص الغائب (تجليات التناص في الشعر العربي)، د. محمد عزام، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١م، ٥٥.

(٣) تنظر الحكومة كاملة في: الشعر والشعراء، ابن قتيبة، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣هـ، ٢١٢/١، ٢١٣.

ﷺ ؛ أمَّا غير ذلك فمقبول، مثل: معارضة حسان بن ثابت(ت نحو ٤٠هـ) للزبرقان بن بدر(ت٤٥هـ)[١].

وفي العصر الأموي تعود العصبيات من جديد وتظهر الأحزاب التي صاحبها إحياء فن النقائض[٢]، كما كانت هناك بعض المعارضات الصريحة، كمعارضات جميل بن معمر(ت٨٢هـ) لعمر بن أبي ربيعة(ت نحو ٩٣هـ) في الغزل[٣] ، ويزداد التأثر شيئًا فشيئًا في العصر العباسي، لكن البداية الحقيقية للمعارضات كانت في العصر الأندلسي ؛ حيث أكثروا من معارضة الشعراء المشارقة، ومعارضة بعضهم بعضًا، وتستمر المعارضات في عصور الدول المتتابعة، وفي العصر الحديث إلى يوم الناس هذا، مؤكدة على أنها فن متطور يفرز شعراء لا يقلون أهمية ولا مكانة عمَّن سبقوهم[٤].

---

(١) قال الزبرقان بن بدر مفتخرا في حضور رسول الله ﷺ:

نحن الكرام فلا حي يعادلنا منا الملوك وفينا تنصب البيع

فعارضه حسان بقوله:

إن الذوائب من فهر وإخوتهم قد بينوا سنة للناس تتبع

تنظر القصة كاملة في: ديوان حسان بن ثابت، تح/د. وليد عرفات، دار صادر ، بيروت، ٢٠٠٦م، ١٠١، ١٠٢.

(٢) النقيضة هي: "قصيدة يرد بها شاعر على قصيدة لخصم له، فينقض معانيها عليه، فيقلب فخر خصمه هجاء، ويحول الفخر إلى نفسه وقبيلته، ويشترط في النقيضة أن تكون على بحر قصيدة الخصم، وعلى رويها، لكن حركة الروي قد تختلف... " . المعجم المفصل في الأدب،٨٦٣/١.

(٣) "قال أبو عبد الله الزبير، قال عمي مصعب: كان عمر يعارض جميلا، فإذا قال هذا قصيدة قال هذا مثلها.....". كتاب الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٢م، ١١٦/١.

(٤) ينظر: النص الغائب، ١٤٢- ١٤٩.

❖ **دوافع المعارضة:**

أمَّا عن دوافع المعارضة، فيعدُّ الدكتور/ إبراهيم عوضين، من النقاد الذين حاولوا تحديدها، وتتمثل عنده في[١]: الإعجاب، أو الغرابة، أو الاستعانة، أو التحدي، أو التسلية، أو الاستجابة.

ويعدُّ دافع الإعجاب أشهر هذه الدوافع، لأنه أمر يتبع الفطرة البشرية التي تدفع إلى التطوير، والتطوير إنَّما ينتج من الإعجاب الذي يؤدي إلى المحاكاة والترسم[٢]؛ فحينما يتكئ الشاعر على معاني غيره، فإنه في الأغلب يعمد إلى إعادة إنتاجها من دون أن يصرح عن قائلها، إلا أنها لا تخفى، وذلك لشهرة المأخوذ منه، وفي ذلك أكثر من غاية، ففي الوقت الذي يبرز الإعجاب بالمعاني التي أنتجها الشاعر السابق، تعطي من زاوية أخرى دلالة على تفوق الشاعر المتأخر وقدرته على اللحاق بركب الفحول من الشعراء[٣].

ويرى الدكتور/ عبد الله التطاوي، أنَّ "ما أصبح من القصائد موضوعًا لمعارضات الشعراء لابد وأن يظل في منطقة البؤرة – بؤرة الإعجاب – لدى المتأخرين منهم، إلى جانب موقعها الأدبي في عصره، بما يكفي لجعلها محورًا ينصرف إليه أكثر من شاعر، ربَّما بسبب دوافع فنية من إعجاب خالص بها، وربما دوافع أخرى قومية، أو حماسية تكشفها التجارب العامة في صورتها الاجتماعية، وربَّما ظلت محصورة في إطار تشابه التجارب الفردية لشعرائها، وربما امتزج الجماعي بالفردي فتفاعلت الصور، ممَّا يؤدي إلى زحام الصور المعارضة... وتبقى للمعارضة أيضا قيمتها في ربط أطراف الحركة الأدبية قديمها وحديثها، وكذا شرقيها وغربيها..."[٤].

---

(١) للمزيد ينظر: المعارضة في الأدب العربي، د. إبراهيم عوضين، ط/١، ١٩٨١م، ٣٥- ٥٩.

(٢) ينظر: السابق، ٣٦.

(٣) ينظر: إعادة إنتاج المعنى في الشعر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري، د. محمد نوري عباس، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، ط/١/ ٢٠١٤م، ١٢٠.

(٤) المعارضات الشعرية (أنماط وتجارب)، د. عبد الله التطاوي، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٨م، ٩٧، ٩٨.

ويأتي هذا البحث محاولًا تلمُّس تلك الدوافع للتأكيد على أهمية هذا الأسلوب القديم الجديد(المعارضة)، الذي يسمح للشعراء بالالتقاء مع تراثهم وإلباسه ثوب الجدَّة والمعاصرة.

❖ بين يدي النص:

أمَّا عن نصِّ[١] أبي تمَّام[٢] في فتح عمُّورية الذي هو حقل الدراسة، فله قصة ومناسبة "وذاك أنه لما حضر المعتصم مدينة (عمُّورية) زعم أهل النجامة أنها لا تفتح في ذلك الوقت، وأفاضوا في هذا، حتى شاع، وصار أحدوثة بين الناس، فلمَّا فتحت بنى أبو تمَّام مطلع قصيدته على هذا المعنى، وجعل السيف أصدق من الكتب التي خبَّرت بامتناع البلد واعتصامها، ولذلك قال فيها:

والعلم في شهب الأرماح لامعة	بين الخميسين لا في السبعة
أين الرواية أم أين النجوم وما	صاغوه من زخرف فيها ومن كذب
تخرصا وأحاديثا ملفقة	ليست بنبع إذا عدت ولا غرب

وهذا من أحسن ما يأتي في هذا الباب"[٣].

---

(١) ينظر النص كاملا: ديوان أبي تمَّام بشرح التبريزي، تح/ محمد عبده عزام، دار المعارف، ط/٥، ١/٤٠-٧٤.

(٢) هو: حبيب بن أوس بن الحارث الطائي، ولد في قرية جاسم التابعة لحوران بسوريا، كان كثير الرحلة والسفر، حيث رحل إلى مصر، وإلى بغداد، التي مكث فيها طويلا ملتزما بلاط المعتصم الذي أجازه وقدمه على شعراء وقته ، كما ولي بريد الموصل، اشتهر بصفاته الخُلقية والخِلقية، فكان أسمر اللون، طويل القامة، فصيحًا، حلو الكلام، فيه تمتمة يسيرة، ومع ذلك كان من حفظة الشعر المجيدين؛ حيث كان يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة من أراجيز العرب غير القصائد والمقاطيع؛ الأمر الذي أثر في بلوغه منزلة في فن القريض قلَّ من يصل إليها، له مؤلفات كثيرة من أشهرها: ديوانه، وديوان (الحماسة)، اختلف في وفاته، كما اختلف في ولادته...، فقيل: إن وفاته كانت ما بين(٢٢٨- ٢٣٢هـ) سنة(٢٣٢هـ). للمزيد ينظر: الأعلام، للزركلي، دار العلم للملايين، ط/١٥، ٢٠٠٢م،٢/١٦٥، ووفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، تح/ إحسان عباس، دار صادر، بيروت، بدون، ٢/١١- ١٧.

(٣) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، تح/ أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة، ٣/١٠٣.

بل إن أبا تمَّام لما أنشد المعتصم هذه القصيدة قال له: "لقد جَلَوْتَ عروسك يا أبا تمَّام فأحسنت جلاءَها. قال: يا أمير المؤمنين، والله لو كانت من الحورِ العين لكان حُسْنُ إصغائك إليها من أوْفَى مُهُورِها"[(١)].

وممَّا يؤكد على فكرة حضور النص الغائب في مخيلة الشعراء على مرِّ العصور، أن أبا تمَّام نفسه لم يكن هو المنشئ الأول لهذه المعاني، بل سبقه غيره، قال الآمدي:

" قال الكميت الأكبر (الكميت بن ثعلبة):

فلا تكثروا فيها الضجاج؛ فإنه محا السيف ما قال ابن دارة أجمعا

أخذه الطائي فقال: السيف أصدق أنباء من الكتب وذلك أن أهل التنجيم كانوا حكموا بأن المعتصم لا يفتح عمُّورية، وراسلته الروم: إنا نجد في كتبنا أن مدينتنا هذه لا تفتح إلا في وقت إدراك التين والعنب، وبيننا وبين ذلك الوقت شهورٌ يمنعك من المقام فيها البرد والثلج، فأبى أن ينصرف، وأكبَّ عليها حتى فتحها وأبطل ما قالوه؛ فلذلك قال الطائي: (السيف أصدق أنباء من الكتب...)، **هو أحسن ابتداءاته**" [(٢)].

وقال[(٣)] ابن عبد البر القرطبي معلقا على قول أعشى همدان:

أبلغ يزيد بنى شيبان مألُكَةً أنّ الكتائب لا يهزمن بالكتب

إنّ الوعيد بظهر الغيب معجزةٌ فإن أردت قتال القوم فاقترب

من ها هنا – واللّه أعلم– أخذ حبيب:

السيف أصدق أنباء من الكتب في حدّه الحدّ بين الجدّ واللّعب

وقد طعن أبو الطيب المتنبي على أبي تمَّام في قوله[(٤)]:

تسعونَ ألفاً كآسادِ الشرىَ نضجَتْ جلوُدُهم قَبل نضْجِ التّينِ والعنبِ

---

(١) زهر الآداب وثمر الألباب، الحصري القيرواني، دار الجيل، بيروت، بدون، ٤٣٢/٢.

(٢) الموازنة بين أبي تمَّام والبحتري، الآمدي، تح/ السيد أحمد صقر، دار المعارف، ط/١، ٦٠/١.

(٣) ينظر: بهجة المجالس وأنس المجالس وشحن الذاهن والهاجس، ابن عبد البر القرطبي، تح/محمد مرسي الخولي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، بدون، ٤٧٩/١.

(٤) ينظر: الرسالة الموضحة في ذكر سرقات أبي الطيب المتنبي وساقط شعره، لأبي علي الحاتمي، تح/ محمد يوسف نجم، دار صادر، ودار بيروت، ١٩٦٥م، ١٦٩، ١٧٠.

فردَّ عليه أبو على الحاتمي: لهذا البيت نبأ أوجب قوله، ولو استقريته لما استجزت الطعن على قائله؛ ولو شاء قائل أن يقول: **إنه لم تفتتح قصيدة بأوجز ولا أخصر من قوله :**

السَّيفُ أصدْقُ أنباءً منَ الكتُبِ في حَدهِ الحدُّ بَينَ الجدِّ واللعبِ

يتَّضح من كل ما سبق، أن بائية أبي تمَّام قد نالت لدى الأدباء والنقاد مكانة أدبية وفنية مهَّدت الطريق أمام كل لاحق؛ لكي يحقق الاستفادة منها من زاويته ورؤيته الأدبية والنقدية الخالصة.

وقد قمت باستقراء للمعارضات الصريحة، وغير الصريحة لتلك البائية قديمًا وحديثًا –غير ما دُرس من جانب الباحثين[١]– فكان عددها حسبما وصلت إليه يد الباحث: **[١٧]** قصيدة، و**[٤]** قطع شعرية[٢]، كلها موزعة ما بين القديم والحديث، بالإضافة إلى التعرض إلى بعض النتف الشعرية[٣]، وعددها: **[٧]**؛ وقد سيطر على معظم هذه النصوص تضمين مطلع البائية:(السيف أصدق أنباء من الكتب)، والاتفاق في الوزن:(بحر البسيط)، والروي:(الباء)، اللهمَّ إلا ما جاء تحت المعارضات غير الصريحة، كما سنبين في المبحثين القادمين:

---

(١) وقف الباحث على ثماني معارضات تم دراستها: وهي للأصم المرواني، وابن القيسراني، وابن سناء الملك، وشهاب الدين محمود ، وأحمد شوقي، ومحمد البزم، وعبد الله البردوني، وابن عثيمين؛ وسوف أشير إليها في صلب البحث .

(٢) القطعة الشعرية هي:" بضعة أبيات ما بين البيتين والستة، وما زاد على الستة يدعى قصيدة". وقيل: إن الأغلب في مجموع أبيات القصيدة سبعة أبيات فما فوق، وقالوا: بل عشرة، أو أحد عشر، أو ستة عشر، أو عشرون، والقطعة ما دون القصيدة على قول. ينظر: المعجم المفصل في الأدب: ٧١٢/١، ١/ ٧١٠.

(٣) النتفة هي: أن يبلغ الشعر بيتين أو ثلاثة. ينظر: إعجاز القرآني، الباقلاني، دار المعارف، مصر، ط/٥، ١٩٩٧م،٢٥٧.

المبحث الأول

المعارضات الصريحة لبائية أبي تمَّام

لعلَّ من أهمِّ ما قيل في سبب ذيوع بائية أبي تمَّام أن مقدمتها كان لها الدور الفعَّال والإيجابي على أذن السامع والقارئ؛ ولا يخفي على ذي لبٍّ ما لهذه المقدمة من جمال في النظم، وحسن في الاستهلال دون غيرها من مقدمات تقليدية، فلم يكن التمهيد والتقديم لمدح المعتصم معتمدًا على المقدمة الطللية – كما هو متعارف عليه– فهي مقدمة جديدة في البدء، ومناسبة لمدح المعتصم الذي من أجله قيلت القصيدة، فالقصيدة تعبِّر عن الواقع الذي شاهده أبو تمَّام وعاينه وشارك فيه وسجَّله في قصيدته أصدق تسجيل، حتى عدت هذه القصيدة أشبه ما تكون بوثيقة تاريخية، كما لم تكن القصيدة حديثًا مباشرًا عن فتح عمُّورية؛ لأنها لو كانت كذلك لوجدنا أن القصيدة قد بدأت بالغرض الأساسي، ولكنها كانت حديثا عن أحداث وقعت قبل فتح عمُّورية جعل منها أبو تمَّام مقدمة جديدة مرتبطة بالمضمون، وهي أن المنجمين قد حذروا المعتصم من فتح عمُّورية في ذلك الوقت؛ إذ إنها لا تفتح إلا في وقت معين، وهو وقت نضج التين والعنب كما زعموا، ولكن المعتصم لم يسمع لهم، فجهز الجيوش وعزم على الفتح، وبالفعل نصره الله ﷻ وتمكَّن من فتحها[(١)] .

ناهيك عن استخدامه المصطلحات الفلكية، كـ (السبعة الشهب)، و(الأبرج العليا...) في مجال التصوير الشعري، كنوع من أنواع التجديد في المقدمات؛ الأمر الذي يقضي بـ" اطلاع واسع على المعاني الفلكية التي تدلُّ عليها..."[(٢)] .

ويرى البحث أن هناك سببًا لا يقلُّ أهمية عن سابقه ألا وهو ارتباط القصيدة بغرض الجهاد الذي يعدُّ ذروة سنام الإسلام الذي تتحرك معه الأفئدة المسلمة في كل زمان ومكان، فمن المعلوم أن الأيام البيض في تاريخ الأمة الاسلامية كثيرة ومتعددة؛ لكن الهزائم النفسية كانت تصيب الأمة بين الحين والآخر؛ بسبب تفريط

---

(١) ينظر: مقدمات قصائد ابي تمَّام وعلاقتها بمضمون القصيدة، الباحثة/ نادية بنت حسن ضيف، رسالة ماجستير، المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية،٢٠٠٨م، ١٢٦، ١٢٧.

(٢) للمزيد ينظر: صورة الفلك والتنجيم في الشعر العباسي، فواز أحمد طوقان، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط/١، ٢٠١٢م، ٣٦٢– ٣٧٣.

بعض ولاة الأمور في الزود عن ديار الإسلام، فكان الشعراء يستلهمون من هذه القصيدة معاني القوة والشجاعة، واستنهاض الهمم، وروح الانتصار، خاصة إذا استطاع أحد القادة أن يحقِّق نصرًا هنا أو هناك؛ ومن ثمَّ ظلت هذه البائية مثالًا كاملًا يحتذى، بل ويضاف إليه؛ فكان – ولا يزال– كل شاعر يجدد ويبتكر في المعاني والصور، حسبما تمليه الظروف والأحداث، فضلًا عن مدى امتلاء نفس الشاعر ومعايشتها للتجربة بصدق.

ولعلَّنا لا نجافي الحقيقة إن قلنا: إن دافع الإعجاب الذي يعدُّ أهم دوافع المعارضات كان هو المحرك الأول الذي دفع معظم شعراء العصور الإسلامية لمعارضة تلك البائية؛ فضلًا عن شهرة أبي تمَّام – ذاك الرجل – الذي يملك أداوت الصنعة الشعرية باقتدار؛ فالشهرة لا شكَّ هي الأخرى من أهم معايير الجودة الفنية التي تقاس بها النصوص[(١)]، أو تكون محركًا مهمًا للشعراء يدفعهم إلى إعادة إنتاجها مرة أخرى مع مراعاة التفاوت في الاتكاء على عناصرها البنائية. **ونستطيع التأكيد على هذه الرؤية من خلال الصفحات القادمة:**

❖ **المحور الأول . من المعارضات الصريحة لبائية أبي تمَّام في الشعر القديم:**

يقصد بالمعارضة الصريحة أن" توافق القصيدة المتأخرة القصيدة المتقدمة في وزنها وقافيتها وأن يكون الغرض منهما واحدا أو متماثلا، بحيث تكون القصيدة المتأخرة صدى واضحًا للقصيدة القديمة، بدافع الإعجاب"[(٢)]. ومن هذه المعارضات في الشعر القديم:

- معارضة الشاعر الفاطمي عمارة اليمني(ت٥٦٩هـ)، التي يمدح فيها علي بن الزَّبَد بأمر من طلائع بن رزيك(ت٥٥٦هـ)؛ حيث يقول في مطلعها[(٣)]:(من البسيط)

---

(١) ينظر: الشهرة معيارا في كتب الاختيارات الشعرية، صبا عبد الستار، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، ع/ ١٨، ٢٠١٤م،٣٥٠– ٣٥٥.

(٢) المعارضات الشعرية دراسة تاريخية نقدية، د. عبد الرحمن إسماعيل ، النادي الأدبي ، جدة، ١٩٩٤م، ١٩.

(٣) تنظر القصيدة كاملة في: ديوان عمارة اليمني، شرح وتحقيق، عبد الرحمن بن يحيى الإرياني، وأحمد عبد الرحمن المعلِّمي، بدون،١/ ١٨١– ١٨٤، كما وردت أبيات منها في: النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية، عمارة اليمني، تح/ هرتويغ درنبرغ، مطبعة مرسو، مدينة شالون على نهر سون، ١٨٩٧م، وأعادت طبعه بالأوفيست مكتبة المثنى ببغداد، ١٤٦، ١٤٧.

أوجبت في ذمة الأشعار والخطب ... ديناً "أبا حسنٍ"[١] يبقى على الحُقُب
لم يبقِ مجدُك في التشبيب لي أرباً ... حسب المدائح ما شيَّدت من حسب
شغلتها باقتضاب المكرمات فما ... يلقى علاك بمدح غير مقتضب
مناقب سجَّلت لي وهي صادقة ... أمان صدق من التخريف و الكذب
أيامك البيض لا تحصى وأفضلها ... يوم خصصت به في "قاعة الذهب"[٢]
وفيت "للصالح"[٣] الهادي وقد غَدَرَت ... به[٤] الصنائع من ناءٍ ومقترب
فعلت فعل "علي" يا علي وقد ... فدى نبيَّ الهدى بل سيد العرب
لما أتتك بنات الموت سائلة ... وهبت روحك مختاراً ولم تَهَب
أقدمت وحدك إقدام الليوث على ... هول يمهِّدُ عذرَ الليث في الهرب
آثار سيفك أجلى من روايتنا ... و(السيف أصدق أنباء من الكتب)
أرهفته بيمين غير طائشة ... عند الضراب وعزم غير مضطرب
فهل بنانك أقوى أم جنانك إذ ... شطبت بالسيف متن السيف ذي الشطب
أنت المقدم في بأس وفي كرم ... إن كنت ترضى بهذا النعت واللقب
وإن كرهت فأنت المستغاث به ... بعد المهيمن في الأحداث والنوب

يتراءى للدارس اتفاق هذه القصيدة مع بائية أبي تمَّام، من حيث: (الموضوع والوزن والقافية)، فقد سيطرت نزعة التقليد المنضبط عند عمارة اليمني، من خلال تلمسه صفات المدح التي يكون بها مقبولًا، ومنها: الشجاعة بما تشتمل عليه من روح التضحية والفداء، بالإضافة إلى الجود والكرم، ومدّ يد العون للمستضعفين في أوقات المصائب والنوازل؛ الأمر الذي يؤكد على محاكاته وترسمه معالم بائية أبي تمَّام من زاوية الموضوع، فضلًا عن اتفاقهما في النظم على بحر (البسيط)، وعلى روي (الباء).

---

(١) كنية أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب رضي الله عنه، وقد وظفها الشاعر كنية لممدوحه علي بن الزبد.

(٢) مكان للاحتفالات في الدولة الفاطمية.

(٣) يقصد طلائع بن رزيك.

(٤) في الديوان: بعدت عنه. ينظر ديوان عمارة اليمني : ١/ ١٨١- ١٨٤.

وقد استعان (عمارة اليمني) على إبراز تلك المعاني بتوظيف بعض الأحداث التراثية الدينية كحدث فداء علي ﷺ للنبي ﷺ في حادث الهجرة المشرفة، فإذا كان أبو تمَّام قد وظَّف يوم بدر، فعمارة قد وظَّف يوم الهجرة المشرفة، وإذا كان أبو تمَّام استعان بالزمان والمكان فوظَّف مدينة (عمُّورية) وألصق يوم النصر بها، فإن عمارة قد وظَّف يوم (قاعة الذهب) كمكان وزمان يشيد بانتصارات واحتفالات الدولة الفاطمية، فلقد حضر ابن الزَّبد "مع الصالح يوم قاعة الذهب فقاتل عنه أشد القتال، ولم يزل يضرب بسيفه حتى انقطع من وسطه نصفين، فلما لم يبق معه سيف ألقى نفسه على الصالح وهو طريح في دهليز السرداب ووقاه بنفسه، فلم تزل السيوف تنحره، حتى قام الصالح وتكاثر الناس"[(١)]؛ ولا شكَّ في أن ذلك قد ظهر بوضوح من خلال توظيف شخصية علي بن الزَّبَد، كشخصية فدائية تشبه شخصية الفدائي علي بن أبي طالب ﷺ. يقول عمارة:

فعلت فعل "علي" يا علي وقد فدى نبيَّ الهدى بل سيد العرب

أضف إلى ذلك أن المعارضة وإن كانت ماثلة بعناصرها الثلاثة؛ (الموضوع والوزن والقافية)، فإنه يحسب لعمارة اليمني، استخدامه التضمين[(٢)] كرافد من روافد المعارضات الشعرية، " ويتوفَّر هذا اللون من التضمين في المعارضات التي قامت على الإعجاب والاستعانة، فالتضمين له وجود في خيال ونية المضمن"[(٣)]؛ فلقد ضمن الشاعر الشطر الأول من مطلع بائية أبي تمَّام(السيف أصدق أنباء من الكتب ...) في قصيدته؛ ولكن مع إضافة في المعنى تقضي بوعي مستمر ومتجدد(الامتصاص

(١) النكت العصرية، ١٤٥.

(٢) وهو:" نقل كلام الغير بقضه وقضيضه إلا معناه، فالشاعر المضمن لا يتحتم عليه الالتزام بغرض الشاعر الآخر ولا بمعانيه". المعارضة في الأدب العربي، ٢٤. وقيل هو : "أن يضمن الشعر شيئا من شعر الغير مع التنبيه عليه إن لم يكن مشهورا عند البلغاء". بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، عبد المتعال الصعيدي، مطبعة الآداب، المطبعة النموذجية، الحلمية الجديدة، بدون، ٤/ ١٣٤.

(٣) ينظر: من حديث المعارضات الأدبية، د. عبد الوارث الحداد، مطبعة السعادة، ط/١، ١٩٨١م، ٥٤.

والتحويل)؛ حيث اعتمد في تأكيد النصر على آثار دماء الأعداء على سيف (ابن الزَّبَد)، ولم يترك ذلك للروايات الناقلة لخبر هذا النصر العظيم.

ناهيك عن براعته في استخدام الأساليب، والصور الفنية، والمحسنات البديعية، مثل قوله:(مناقب سجلت لي وهي صادقة...)، وقوله:(لما أتتك بنات الموت سائلة ...)، وقوله: (فهل بنانك أقوى أم جنانك...)، وقوله: (وفيتَ ، غَدَرَتْ)...، ثم تأثره بالمعجم الشعري عند أبي تمَّام، مثل ألفاظ:(السلب– حسب – الحقب– كذب– الذهب– مقتضب – الهرب – العرب – النوب...)؛ الأمر الذي يدلُّ على التعالق النصي بين القصيدتين.

- معارضة شاعر دمشق ابن قاضي حماة الصاحب شرف الدين الأنصاري(ت٦٦٢هـ) التي يمدح فيها شيخه السيف الآمدي(ت٦٣١هـ) ؛ حيث يقول فيها[١]: (من البسيط)

لَـــئنْ تَقَـــدَّمَ قَـــوْمٌ عَصْـــرَ سَـــيِّدِنا فَكَـــمْ تَقَـــدَّمَ خَيْـــرَ المُرْسَـــلينَ نبـــي

وَإِنْ يَكُـــنْ عِلْمُـــهُ فَرْعـــاً لِعِلْمِهـــمُ "فَإِنَّ في الخَمْرِ مَعْنىً ليْسَ في العِنَبِ"[٢]

وَإِنْ أَتَـــتْ مِـــنْهُمُ كُتْـــبٌ مُؤَلَّفَـــةٌ فـ(السَّيْفُ أَصْـدَقُ أَنْبـاءَ مِـن الكُتُـبِ)

يلاحظ أن هذه القطعة الشعرية جاءت في مدح عالم ومدح مؤلفاته، كشكل من أشكال (الامتصاص والتحويل) في جانب الموضوع، كما تناصت موسيقيًا مع بائية أبي تمَّام، فجاءت على بحر (البسيط) وروي (الباء)؛ وقد استخدم الشاعر التضمين كآلية من آليات المعارضة؛ حيث ضمَّن شعره قول أبي تمَّام: (السيف أصدق أنباء من الكتب)، ولم يقف التداخل النصي عند هذا الحدِّ، وإنَّما تعدَّاه إلى نص غير نص أبي تمَّام؛ حيث ضمَّن قول المتنبي المشهور: (فَإِنَّ في الخَمْرِ مَعْنىً ليْسَ في العِنَبِ).

---

(١) ديوان الصاحب شرف الدين الأنصاري، تح/ د. عمر موسى باشا، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٩٦٨م، ٨٦، ٨٧. وقد نصَّ على أنَّ هذه الأبيات تندرج تحت المقطعات.

(٢) يلاحظ أن الشطر الثاني من قصيدة يرثي فيها المتنبي أخت سيف الدولة الكبرى. ينظر القصيدة كاملة في: ديوان أبي الطيب المتنبي، تح/ عبد الوهاب عزام، لجنة التأليف والترجمة والنشر، بدون، ٤٢٢– ٤٢٦.

• معارضة الشاعر شرف الدين أبي الوفاء راجح الحلي(ت٦٢٧هـ)، في مدح الظاهر غازي بن صلاح الدين الأيوبي(ت٦١٣هـ)، وأبيه المظفر صلاح الدين(ت٥٨٩هـ)؛ حيث يقول[١]: (من البسيط)

اربــأ بنفســك أن يــدنيك مــن أرب غير السيوف المواضي والقنا السُّلُبِ

.....

وفيها من المدح:

ذي راعدٍ من عوادي خيله قصف ووابل من غوادي نيله خصب
يقظان ما حاول الأعداء غرته إلا وأغرى بهم جيشاً من الرعب
أعطى قنا الخط عهدا إذ يؤمهم أن لا يرد سناناً غير مختضب
ولم تزل وهي كالأشطان يرسلها يوم الوغى في قلوب القوم في قُلُب
ساس الرعايا بعدل منه كان لهم أَحْنَى على ولد من والد حَدِب
يا ابن الأُلَى ألفوا ضِرب الطُّلَى وثنوا عن العلا بالمعاني كل مغتصب
من كل أحمر حدِّ السيف أخضر يَوْ م الحرب أبيض وجه الحمد والحسب
عزما فما زلت تجلو كل داجية بالمستنيرين من رأي ومن شُطَب
سر بالجياد المذاكي تذك نار سَطَا يزداد وقداً بِرَقْرَاقِ الدم السَّرِب
ولا تراسل بغير البيض مسلطة فـ(السيف أصدق أنباء من الكتب)
فكم صفحت وأغمدت الصفاح وكم كادت تذوب لما فيها من اللهب
فاسْتَنَّ عزماً وجرد بأس منتقم فالخمر تجمع بين السكر والطرب
فأنت ذاك الذي تسري عزائمه إلى أعاديه مسرى الأنجم الشهب
وهي المقادير قد جاءتك مقبلة فمر تطعك وسل ما شئته تجب
إن تغز فالنصر والفتح المبين له عليك ألوية خفاقة العذب
ولو نَهَدْت إلى يأجوج أسلمها من كان يعصمها في المعقل الأشب

يتضح من خلال أبيات هذه القصيدة الاتفاق مع بائية أبي تمَّام في(الموضوع والوزن والقافية)، فالقصيدة قد اشتملت على الصفات التي لابد وأن يحافظ عليها شاعر

(١) ديوان أبي الوفاء راجح الحلي، تح/ الدوكالي محمد نصر، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، الجماهرية العظمى، طرابلس، ١٩٩٤م، ١٧٧- ١٧٩.

المدح من: الشجاعة ولوازمها...، والعدل وما يستدعيه، وأصالة الحسب والنسب...؛ لكن الشاعر يحسب له أنه قد فاق غيره من الشعراء – وفي مقدمتهم أبو تمَّام – حيث بدأ قصيدته بتقديم النصح الذي يرجوه القائد وهو في ميدان المعركة أو مقبل على الدخول في وطيسها وأتونها المشتعل؛ حيث يقول في مطلعها[1] :

اربــأ بنفســك أن يــدنيك مــن أرب ... غيــر الســيوف المواضــي والقنــا السُّــلُبِ
واغضـب لترضـى بمـا تَحضْـى عواقبـه ... إن الرضــا كــامن فــي سَــوْرة الغضــب
وأتعــب الــنفس فيمــا أنــت طالبــه ... فــإن راحتهــا فــي ذلــك التعــب
واستشـعر الحـزم والـبس منـه ضـافية ... تنبــو إذا باشــرتها أســهم النــوب
وبالسـيوف فخاطـب فهـي أفصـح فـي ... ردع الخطــوب مــن الأســجاع والخطــب
لا تخــل دهــرك مــن يــوم يمــر بــلا ... حــزم يســر وطــل بالســعي والطلــب
إن الزمــان وإن راقــت نضــارته ... أخــو الغــواني ضــعيف العهــد والســبب
فــلا يغرنــك بشــر فــي أســرته ... كم بارق مــر في نــوء ولم يصــب
ففــي ســوى رجــب لا مــا ســمعت بــه ... تــأتي الشهــور بأنــواع مــن العجــب

ويستمر الشاعر في النصح إلى أن أوصاه ألا يقبل بالمهادنات – لا سيما بعد تقديمه الصفح مرة بعد مرة– ولتكن القوة المستمدة من السيوف هي عنوان رسائله، ثم حضَّه على العزم وشدة البأس في موطنه؛ فالحلم له وقته والقوة لها وقت، خاصة وأن الظروف مواتية، والأقدار سانحة، فاشدد وطأتك على عدوك، فلو كان يأجوج ومأجوج لنصرك الله ﷻ عليه.

أمَّا على مستوى الفن، فقد تأثر شرف الدين الحلي بالمعجم الشعري عند أبي تمَّام، كشكل من أشكال التعالق النصي في الحشو والقافية، مثل ألفاظ:(السلب – فجدٌ– كاللعب – كثب– الرعب– مختضب – الشهب ...)، كما استخدم التضمين كآلية من آليات المعارضة، فإذا كان أبو تمام قد قال:

(١) ديوان أبي الوفاء راجح الحلي ، ١٧٧– ١٧٩.

تـــدبير معتصـــم بـــالله منـــتقم لله مرتقـــب فـــي الله مرتغـــب[١]

فإن شرف الدين الحلي، قال مضمنًا:

لا عـــين إلا إلـــى عليـــاك نـــاظرة فالنصـــر مقتـــرب مـــن كـــل مرتقـــب

كذلك تضمينه شطر البيت الأول من قصيدة أبي تمَّام(السيف أصدق أنباء من الكتب). بل ظهرت الحوارية النصية عندما حاور أبا تمام في قوله:

عجائبـــا زعمـــوا الأيـــام مجفلـــة عنهن فى صفر الأصفار أو رجب[٢]

حيث قال شرف الدين الحلي، مكذبًا زعم المنجمين:

ففـــي ســـوى رجـــب لا مـــا ســـمعت بـــه تـــأتي الشـــهور بـــأنواع مـــن العجـــب

- معارضة شاعر اليمن جمال الدين محمد بن حمير الهمداني(ت٦٥١هـ)، مهنئا ملك الدولة الرسولية باليمن الملك المنصور عمر بن علي بن رسول(ت٦٣٦هـ) لما تسلم حصون: (حجة) و(المخلافة) بما فيها بلاد (الشرفين) وعاد إلى مدينة (زبيد) سنة(٦٣٤هـ)؛ حيث يقول في مطلعها[٣]: (من البسيط)

هنئت بالنصرِ لمّا جئتَ في لجب مظلـــــلاً بالردينيّـــــات والعـــــذبِ

ومرحبـــاً يـــا رســـولي الملـــوكِ وإن غـــابَ الســـماكُ[٤] ونســـراه[٥] فـــلا تَغِـــبِ

---

(١) ديوان أبي تمام بشرح التبريزي، ٥٨/١.

(٢) السابق، ٤٣/١.

(٣) ديوان أبي عبد الله جمال الدين محمد بن حمير الهمداني، تح/ محمد بن علي بن الحسين الأكوع، دار العودة، بيروت، ط/١، ١٩٨م، ٩٠، ٩١. وتنظر قصة الغزوة كاملة في: العقود اللؤلوية في تاريخ الدولة الرسولية، علي بن الحسن الخزرجي، تح/ محمد بسيوني عسل، ومحمد بن علي الأكوع، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، دار الآداب، بيروت، لبنان، ط/١، ١٩٨٣م، ٦٣/١- ٦٥.

(٤) " والسِّماكانِ: نَجْمَانِ نَيِّرانِ أَحَدُهُمَا السِّماك الأَعْزَل وَالْآخَرُ السِّماكُ الرامِحُ". اللسان، مادة (سمك).

(٥) "والنَّسْران كَوْكَبَانِ فِي السَّمَاءِ مَعْرُوفَانِ عَلَى التَّشْبِيهِ بالنَّسْر الطَّائِرِ، يُقَالُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا نَسْر أَو النَّسْر، ويَصِفونهما فَيَقُولُونَ: النَّسْر الْوَاقِعُ والنَّسْر الطَّائِرُ". اللسان، مادة (نسر).

غزوتَ "مبينَ"[١] إذ هاجت شقاشقها وفي الرتيبي ألْفافٌ من الْعربِ

هَمّوا بما لم ينالوه وَغرَّهُم ما غرَّ أَشْعَبَ[٢] أطماع من الكذب

وحَفَّ جيشُكَ مِن هَنّا بهم وهنا فما التقوك بغير الذُّلِ والهَرَب

قَدِمتَ والقومُ في تيهٍ وفي بطرٍ فرحتَ والقومُ في ويلٍ وفي حَرَب

لمّا رأوك وخيلُ الله مُقْرَبَةٌ حَوْليك والنصرُ قبل الخيل في قَرب

رأوا إلى ملك بالعدلِ مشتملٍ لا بل إلى ملكٍ بالتاج مُعْتَصِب

فسلموا وأقادوا مِنْ نفوسِهم وتابَ من كان قبل السيف لم يتب

وَعُدتَ في سورة الفَتحِ التي قرئت وأهلُ "قِلْحَاحَ"[٣] في"تبت أبي لهب"[٤]

---

(١) "بالضم ثم الكسر، وآخره نون، من أبان الشيء يبين فهو مبين أي ظاهر: اسم موضع..." معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، ط/٢، ١٩٩٥م ٥٢/٥

(٢) هو رجل من أهل المدينة يقال له "أَشْعَبُ الطَّمَّاع" وهو أَشْعَبُ بن جُبَير مولَى عبدِ الله بن الزبير، وكنيته أبو العلاء، سأل أبو السمراء أبا عبيدة عن طَمَعه، فقال: اجتمع عليه يوماً غِلْمان من غِلْمان المدينة يُعَابثونه، وكان مَزَّاحاً ظريفاً مغنياً، فآذاه الغِلْمة، فقال لهم: إن في دار بني فلان عُرْساً، فانْطَلِقُوا إلي ثَمَّ فهو أَنْفَعُ لكم، فانْطَلَقُوا وتركوه، فلما مَضَوْا قال: لعل الذي قلتُ من ذلك حَقّ، فمضى في أثرهم نحو الموضع، فلم يجد شيئاً، وظفر به الغلمانُ هناك فآذوه. مجمع الأمثال، الميداني، تح/ محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، لبنان، بدون، ٤٣٩/١.

(٣) الحاءان مهملتان: جبل قرب زبيد فيه قلعة يقال لها شرف قلحاح. وهي : قلعة حصينة باليمن قرب زبيد بين جبال لا يوصل إليها إلّا في مضيق لا يسع إلّا رجلا واحدا مسيرة يوم وبعض الآخر، ودونه حراج وغياض، أوى إليه علي بن المهدي الحميري المستولي على زبيد في سنة ٥٥٠، وهذا الحصن لبني حيوان من خولان يقال له شرف قلحاح، بكسر القاف. معجم البلدان، ٤ /٣٨٧، ٣٣٦/٣.

(٤) إشارة إلى سورة (المسد).

وصَاحبُ الغدر يوم "الجاهلي"[١] ثوى جوعـــاً "وامْرأتُـــه حمالـــةُ الحَطـــب"[٢]
أذللـــت عـــاتيهم واقتـــدت عاصـــيهم و(الســـيف أصـــدق أنبـــاء مـــن الكتـــب)
فـــاليومَ قِلْحَـــاحُ لا يرغـــو بهـــا جمَـــل والـــذئبُ لـــو نَطَحَتْـــه الشـــاه لـــم يثـــب
يـــا ثالـــثَ القمـــرينِ اســـمع مـــدائح مِـــنْ مُهْـــدٍ لملكـــك شـــكرَ الـــروضِ للسُـــحُبِ

يلاحظ من خلال هذه الأبيات محافظة الشاعر على عناصر المعارضة الصريحة من اتفاق في الوزن، والقافية، والموضوع؛ فإذا كان أبو تمَّام هنأ ومدح المعتصم متحدثا عن صفاته، فكذلك محمد بن حمير الهمداني، قد بدأ بالتهنئة لابن رسول بالعودة منتصرا مظللا بالرماح والسيوف، ثم مادحًا إياه بشجاعته؛ إذ جعله حارسًا سماء اليمن إن غاب السماك الرامح(حارس السماء)، أو الشعرى اليمانية، والنسر الواقع (نجم في السماء)[٣] – كما يزعم أهل التنجيم – ثم بعدله وإنصافه وعفوه ومسامحته للقوم بعد خضوعهم واستسلامهم له.

وفي خضمِّ هذه المعاني كان لعناصر الفن الشعري أثر ليس بالخفي في إيصالها مثل: استخدامه آلية التوظيف، كتوظيفه المثل الذي يقول: (أطمع من اشعب)، في قوله: (... ما غرَّ أَشْعَبَ أطماع من الكذب)، وتوظيفه المكان مثل قوله: (أهل قلحاح) إشارة إلى قلعة شرف قلحاح، وكذلك توظيفه شخصية (أبي لهب) كشخصية شريرة معادية لشخصية أمير القوم، وهي تمثل الخارجين عن ابن رسول.

كما وظَّف القرآن الكريم عن طريق الاقتباس بالمعنى من خلال إشارته إلى سورة الفتح، وتحديدًا في قوله تعالى : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتحَاً مُّبِينا ﴾[٤]، وكذلك اقتباسه آية من

---

(١) يقصد: أبا لهب لعنه الله؛ مشبهًا الخارجي الغادر به، لا سيما في حال مقتله.

(٢) اقتبس الشاعر قول الله تعالى: " وَٱمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ " سورة المسد، الآية: ٤.

(٣) ينظر: موسوعة ويكيبيديا:
https://ar.wikipedia.org/wiki/%D٨%A٧%D٩%٨٤%D٩%٨٦%D٨%B٣%D٨%B١_%D٨%A٧%D٩%٨٤%D٩%٨٨%D٨%A٧%D٩%٨٢%D٨%B٩

(٤) سورة الفتح، الآية: ١.

سورة (المسد)، يقول تعالى:﴿ وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ﴾[١]، كما استخدم آلية التضمين عندما استخدم شطر بيت أبي تمَّام بلفظه:(... والسيف أصدق أنباء من الكتب).

بل ما أروع ختامه عندما قال: (يا ثالث القمرين...)؛ ولعله يقصد بالقمرين: (الشمس والقمر)، أو يقصد – متأثرا بالشيعة – (الحسن والحسين) سيِّدا شباب أهل الجنة، ناهيك عن التعالق النصي بين القصيدتين؛ حيث تأثر الشاعر جمال الدين عند اختيار ألفاظ معجمه الشعري بمعجم أبي تمَّام في بائيته، لا سيما في ألفاظ القافية، مثل:(العرب – الكذب – الهرب – الكتب – لهب – الحطب ...).

- وهناك (قطعة شعرية)لابن نباتة المصري(ت٧٦٨هـ)، اتفقت في الموضوع والوزن والقافية؛ ممَّا يعني أنها تقع تحت المعارضات الصريحة؛ وإن لم يطل شاعرها النفس فيها؛ حيث يقول[٢] :

يا ساكني مصر تبَّت للفراق يدٌ	قد صيرَّت حزني "أبا لهب"[٣]
ومهجتي في ضلوعي من جوى	حمَّالة الهمِّ أو "حمَّالة الحطب"[٤]
عن مدمعِي وندى كفّ الأمير ألا	حدث عن البحرِ يا رائيه بالعجب
أمير حاجب ملكٍ غير أنَّ له	نور المهابة يغنيه عن الحجب
يا منعشي حيث شخصي في	تفليس مالي ودمع العينِ في حلب
كتب التواريخ تملينا وتخبرنا	عن سادةٍ من ذوي العلياءِ والرتب
وأنت بالفضلِ تملينا معاينة	و(السيف أصدق أنباء من الكتب)

يلاحظ أن هذه الأبيات قد امتزج فيها غرض المدح بالإخوانيات على سبيل الامتصاص والتحويل؛ فالشاعر قد عبَّر عن مدى شوقه وحبِّه لممدوحه، وكيف أن يد الفراق قد قطعت الوصال بينهما، فصار قلبه بين الضلوع في همٍّ وحزنٍ دائم، وكأنه أصبح أصلا للَّهب! أو كأنه تحوَّل إلى نار مشتعلة كتلك التي تنتظر أبا لهب وامرأته

---

(١) سورة المسد، الآية: ٤.

(٢) ديوان ابن نباتة المصري، الناشر/ الشيخ محمد القليقلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، بدون،٥٢.

(٣) كأن حزنه أصبح أصلا للَّهب . ولعله أراد التورية.

(٤) اقتبس الشاعر قول الله تعالى:" وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ " سورة المسد، الآية: ٤.

حمالة الحطب! ولا شكَّ في أن هذا الاقتباس القرآني – كسابقه – قد لعب دورًا فريدًا في رسم هذه الصورة العميقة، ومن زاوية أخرى يدلُّ على عملية التأثير والتأثر بين معظم شعراء العصور الأدبية.

❖ **المحور الثاني ـ من المعارضات الصريحة لبائية أبي تمَّام في الشعر الحديث:**

تعدَّدت آراء الباحثين حول بداية التاريخ الحديث، ومن هذه الآراء ما يجعلها مع الحملة الفرنسية، أو مع تولِّي محمد علي باشا(ت١٢٦٥هـ) مقاليد الحكم(١٢٢٠هـ/ ١٨٠٥م)؛ حيث يعدُّ مؤسس النهضة الحديثة[١]، وبهذا القول من الممكن أن نبدأ بمعارضات الشعراء لبائية أبي تمَّام في فتح (عمُّورية) في العصر الحديث على النحو الآتي:

- معارضة الشاعر المفتي عبداللطيف بن علي فتح الله(١٢٦٠هـ / ١٨٤٤م)، حيث يقول[٢]: (من البسيط)

الفَخرُ يَرقُصُ كَالمَسرورِ والطرِبِ ... وَالعِزُّ يَختالُ وَالعَلياءُ في طربِ

إِذ أَصبَحَ المَجدُ هَذا الآن مُنكَشِفاً ... كَالشّمسِ بَعدَ التّواري غَيرَ مُحتَجِبِ

تَبدو عَلى الشّرَفِ الأَعلى كَواكِبُهُ ... وَالسّعدُ مَطلعها مَكشوفَةَ الحُجُبِ

وَالكَونُ يَرقُصُ بِالأَكمامِ مِن فَرَحِ ... كَرَقصَةِ السّقفِ بِالأَقمارِ وَالشّهبِ

يُبدي مِنَ الرّقصِ ما أَضحى وَلا يَقضي بِهِ عَجباً ناهيكَ مِن عَجَبِ

بَشيرهُ جاءَنا فيهِ يبشِّرنا ... يَطيرُ فَوقَ مُتونِ الأَيْنُقِ النُّجُبِ

يَجُرُّ ذَيلَ سُرورٍ مِن بَشائِرِهِ ... وَذاكَ أَحسنُ مَجرورٍ وَمُنسحِبِ

جاءَت بِهِ كتبٌ فيهِ تُبَشّرُنا ... مِن نَحوِ دارِ العُلى لِلعُجْمِ وَالعَرَبِ

دارُ السّعادَةِ وَالإِسعادِ حَيثُ بِها ... بابُ المُرادِ وَنيلُ القصرِ والأربِ

---

(١) ينظر: تحديث مصر في عصر محمد علي، إعداد وتحرير، يونان لبيب رزق، ومحسن يوسف، مكتبة الأسكندرية، ٢٠٠٧م، ٢٧، وتطور الأدب الحديث في مصر، د. أحمد هيكل، دار المعارف، ط/٧، ١٣-١٦، ٢٦- ٢٩.

(٢) ديوان عبد اللطيف فتح الله، جامعة كاليفورنيا، فرنتس شتاينر، ١٩٨٤م، ٢/٥٥١- ٥٨٨.

دارُ المَليكِ اِبن عُثمان[1] الّذي خضعت لَـــهُ المُلـــوكُ بِـــلا شَـــكٍّ ولا رِيَـــبِ
وَأَنبَأتنـــا بِهـــذا المَجـــدِ تُســـندهُ عَن مُسنَدِ الصّدقِ لا عَن مسنَدِ الكذب الكَذبِ
وَالكتـــبُ أَنباؤُهـــا لا شَـــكّ صـــادِقَةٌ مـــا (السّـــيفُ أَصـــدقُ إِنبـــاءً مِـــنَ الكتـــبِ)
وَبَعـــدهُ المَجـــدُ قَـــد وافـــى بِمَوكِبِـــهِ بِرُتبَـــةٍ قَـــد غَـــدَت مِـــن أَرفَـــعِ الرتـــبِ
فـــي جَحفَـــلِ العِـــزِّ وَالعَليـــاءِ فـــي شَـــرفٍ فـــي دَولَـــةٍ قَـــد أَضـــاءَت جَبهـــةَ الحقـــبِ

يلاحظ أن القصيدة قد اتفقت مع بائية أبي تمَّام في الموضوع والوزن والقافية، لكن الشاعر بزَّ أقرانه من القدماء الذين عارضوا القصيدة صراحة؛ حيث أضاف إلى قانون:(الامتصاص والتحويل)، قانون:(الحوار) الذي يقوم الشاعر من خلاله بعملية محاورة النص ومخالفة بعض المفاهيم الثابتة في النص الغائب، وقد ظهر ذلك بقوة في قوله:

وَالكتـــبُ أَنباؤُهـــا لا شَـــكّ صـــادِقَةٌ مـــا (السّـــيفُ أَصـــدقُ إِنبـــاءً مِـــنَ الكتـــبِ)

حيث نفى صدق السيف، لا سيما حينما يتعلق الأمر بكتب ورسائل ممدوحه (ابن عثمان) الذي إذا قال فعل، فكتبه من ناحية الإسناد في أعلى درجات الصحة لا يشوبها كذب أبدًا كما شاب كتب المنجمين.

أضف إلى ذلك تأثره بألفاظ المقدمة، خاصة فيما يتعلق بالحديث عن الكواكب، وألفاظ المنجمين مثل قوله: (... كرقصة السقف بالأقمار والشهب)، ومثل ألفاظ:(كواكبه – الشمس – التواري – مطلعها – مكشوفة الحجب)، كما نجد التعالق النصي ظاهرًا في ألفاظ القافية مثل:(محتجب – الريب – العرب – الحقب).

- معارضة الشاعر العثماني محمد شهاب الدين محمود(ت١٢٧٤هـ/ ١٨٥٧م)، التي يمدح فيها الشريف محمد بن عون شريف مكة ووالياها وأميرها؛ حيث يقول[2]: (من البسيط)

(١) كان المفتي (عبد اللطيف فتح الله) مواليا لأحمد باشا الجزار، الذي كان حاكما على الشام وهو الذي رد نابليون ومنعه من دخول عكا، وقد قال فيه فتح الله مدائح عظيمة. ينظر: مقال في جريدة اللواء، بعنوان (أيام بيروتية)، لعبد اللطيف فاخوري، تاريخ الإضافة: ٢١من كانون الأول ٢٠١٩م.

(٢) ديوان محمد شهاب الدين محمود(مخطوط)، الشبراوي المطبعجي، ١٢٧٧هـ، ٥١-٥٣.

أنسمة من صبا نجد بها وصبى سرت تهيج هوى شيخ صبا وصبى

.....

وفيها من المدح:

قل للذي ود لو يحكي رئاسته هيهات هيهات ليس الرأس كالذنب
كم من كتائب قد قالت لصارمه (السيف أصدق أنباء من الكتب)
ما أمهم طالباً منهم مقابلة إلا تولوا وكانوا طالبي الهرب
ما كان أمر عسير بالعسير وغى إلا عليهم لما أبداه من غضب
إذ جاءهم يتغشى بطن أودية على ظهور جياد الخيل والنجب
في جحفل ساقه والنصر قائده كأنه السيل إذ ينحط من صبب
فعمَّ أعداءه سلباً ومقتلة وخصَّ أبطال من والاه بالسلب
بهمة فوق هام النجم قد جعلت سرادقات العلى ممتدة الطنب
يا ذا الكريم الذي لم يأب موهبة إذا الكرام أبت يوماً ولم تهب
أشكو إليك جفا هذا الزمان وما ألقاه في أهله من حرفة الأدب
إذا مدحت بنيه كدت أغضبه كأنه ليس يرضى القول بالكذب
أظنه إذ تمادى في تشيطنه ما كان يعرف أني ثاقب الشهب
كلا أنا المخطىء الجاني جنيت نفسي بترك ذكي وامتداح غبي
هلا امتدحت كريماً من بني حسن هو الحبيب النسيب الفاخر النسب
له ذكاء ذكاء ليس يحجبها من حيث تشرق غيم الشك والريب
إذا ترجيت عوناً من مكارمه كان ابنه حسب خالي وهو غير أبي

يتراءى للقارئ من خلال استقرائه أبيات هذه القصيدة، الاتفاق في الوزن والقافية والموضوع مع بائية أبي تمَّام، ولو قال قائل إن القصيدة قد بدأت بوصف بلاد نجد، بل استغرق الوصف مساحة فيها ليست باليسيرة، حيث يقول في مطلعها[١] :

أنسمة من صبا نجد بها وصبى سرت تهيج هوى شيخ صبا وصبى
صاغت حلى الربا أنداؤها سحرا ونضدت درر التيجان للقضب
تضرجت وجنات الجلنار بها وافتر ثغر أقاحيها عن الشنب

(١) ديوان محمد شهاب الدين محمود، ٥١.

قد صبحت دوحها الندمان وابتدروا رهان سبق كميت اللهو والطرب

قلنا: إن الإطار الأساسي والمضمون الأساسي هو المدح والتهنئة، وهذا لا شكَّ فيه تأثر بالنهج القديم الذي كانت القصيدة فيه تشتمل على أكثر من موضوع أو مضمون، لكن لابد من موضوع أساسي – كما ذكر– يلفها وترتاح النفس إلى تصنيفها تحته؛ فقد جاء المدح مشتملا على الصفات التي يجب أن يمدح بها القائد من الشجاعة والكرم والجود وما يستلزمها، فضلا عن ارتباطه بالتهنئة عند أمر عظيم يحدث الفرح والسرور.

أمَّا على مستوى فن المعارضات، فقد اشتملت قصيدة محمد شهاب الدين محمود، على التضمين، كآلية من آليات المعارضة؛ حيث ضمن قصيدته قول أبي تمَّام المشهور:(السيف أصدق أنباء من الكتب)، كما ضمنها بعض ألفاظ المعجم الشعري لدى أبي تمَّام في بائيته، مما يدل دلالة واضحة على التعالق النصي بين القصيدتين، مثل ألفاظ: (الذنب – الكتب – الهرب – جحفل – النجب – صبب– الطنب– السلب– الشهب – النسب – الشك والريب ...).

ولقد تجلَّت براعته الفنية في استخدام الأساليب، والصور، والمحسنات البديعية، مثل: أسلوب الأمر، واستخدامه اسم الفعل في قوله:(قل للذي ..... هيهات هيهات)، تعظيما لممدوحه من ناحية، وتقليلا وتحقيرا لمنافسه من ناحية أخرى، وقوله :(هلا امتدحت كريمًا ...)، وفيه حضٌّ على تخيُّر الانسان من يمدحه حتى ولو كان تحت وطأة الحاجة والعوز، وهو ما لم يفعله شاعرنا الذي كان يتكسب بشعره؛ لذلك عاتب نفسه، وقوله:(كأنه السيل إذ ينحط من صبب)، متأثرا بالصورة الشعرية في قول امرئ القيس: " ... كجلمود صخر حطه السيل من عل "[1]، التي تدلُّ على القمة في الشجاعة والإقدام، فضلا عن دخول هذا الأسلوب في التضمين الشعري. كما أسهم الأسلوب الخبري في إيضاح مراد الشاعر في بعض المواطن؛ مثل قوله: (كم من كتائب...)، مستخدمًا (كم) الخبرية دلالة على الكثرة.

(١) ديوان امرئ القيس، تح/ محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط/٥، ١٩.

أمَّا عن استخدامه المحسنات، فقد كان مقلًا فيها، بل إن شئت فقل : كان المعنى يطلبها فلم يأت بها تكلفًا، مثل الطباق في قوله:(الرأس والذنب، عمَّ .. وخصَّ...)، الأمر الذي يدعو إلى إعادة النظر في القول بأن شعراء هذا العصر وسابقه قد أولعوا بالبديع إلى درجة أدت إلى انحطاط العصر وجموده، فعلى سبيل المثال: عندما استخدم الشاعر محسن الجناس نجده قد أتى به في إطار يدل على حيوية النص وتدفق المعاني والإيحاءات التي تجعل القارئ يغوص في أعماق النص باحثًا عن مقصد الشاعر؛ حيث يقول:(له ذَكاء ذُكاء...)، فهذا جناس ناقص، فـ(ذَكاء): بمعنى حدة الفؤاد، وسرعة الفطنة، أي: سرعة الفهم والتوقد، أمَّا (ذُكاء): (غير مصروف وبغير أل): الشمس، سميت بذلك[١]؛ لأنها تذكو كما تذكو النار. فالشاعر أراد ذكاء ممدوحه وفطنته ورجاحة عقله، ويدلُّ على ذلك قوله:(بترك ذكي وامتداح غبي)؛ حيث لا يحجب ذكاءه شكٌّ أو ريب؛ فذكاؤه ذكاء متقد ينمُّ عن رجاحة عقل متناهية.

كذلك من معالم التأثر ببائية أبي تمَّام أنه استخدم آليات التوظيف الشعري (توظيف الشخصية)؛ حيث وظَّف شخصية ممدوحه (عون) الذي يستعان به عند الملمات والحاجات، مثلما وظَّف أبو تمَّام شخصية (المعتصم بالله) هذا البطل الشجاع في مقابل القائد الجبان (تُوفَلِس) قائد الجيوش الرومية البيزنطية. فضلا عن ذاك الختام الذي ضمنه فن (اللغز والأحجية)، في قوله: (كان ابنه حسب خالي وهو غير أبي)!

والعجيب أنني عندما قمت بتتبع ديوان الشاعر بحثا عن تأثره ببائية أبي تمَّام وجدت كثرة معارضته لها، ومن أمثلة ذلك قصيدته في الشيخ/ عثمان السناري سنة(١٢٥٦هـ)؛ حيث يقول في مطلعها[٢] :

أثغر ساقي الطلا يفتر عن شنب أم كاسه بسمت عن لؤلؤ الحبب

ثم يقول[٣] فيها مهنئًا إياه وقد أعطي رتبة مير ميران الرديف:

قد طال ما أنبأت عن فضله كتب و(السيف أصدق أنباء من الكتب)

---

(١) ينظر: لسان العرب(ذكا).

(٢) ديوان محمد شهاب الدين محمود: ٩٢، ٩٣

(٣) السابق ، ٩٢ .

وله – أيضا– قصيدة أخرى في مدح السيد أحمد العزبي سنة(١٢٥٦هـ)، وقد أعطي رتبة إمارة لواء الرديف في ثغر الاسكندرية، حيث يقول في مطلعها[١] :

يـا حـادي العـيس يجتـاز الفـلا سـربي واقصـد حمـى عـرب فيـه تـرى سـربي

ثم يقول فيها مهنئا ومادحا[٢]:

حلـى علـى صـفحات الـدهر قد كتبت و(السـيف أصـدق أنبـاء مـن الكتـب)

الأمـر الـذي يؤكـد علـى أن هـذه القصـيدة كانـت بمثابـة أيقونـة تضـيء للشـعراء[٣]، فيترسمون معالمها كل حسب شخصيته وإمكاناته الفنية وانخراطه بأحداث عصره.

- معارضـة القاضـي والشـاعر اللبنـاني أحمـد تقـي الـدين(ت١٣٥٣هـ/ ١٩٣٥م)؛ حيـث يقول[٤] : (من البسيط)

هـذا الأميـرُ الـذي تُغنيـكَ شـهرتُهُ عـن ذكـرِه فـي بـلادِ العُجـمِ والعَـرَبِ

لـم يكفِـهِ القلـمُ المشـهورُ فـي يـدِه حتـى نَضـى السيفَ يمحو آيـة الكَذِب

فسـائِلِ السـيفَ عـن يُمنـاهُ مـا كتبـتْ (السـيفُ أصـدقُ إنبـاءً مـن الكُتُـب)

يلاحـظ مـن خـلال هـذه الأبيـات اتفـاق الغـرض وهـو المـدح؛ حيـث وصـف القائـد بالشجاعة والاقدام؛ فإن عدَّ كاتبا من الطراز الأول، فهو أيضا مقاتل من الطراز الفريد، لا يقـف عنـد حـدود الرسـائل التـي يرسـلها لأعدائـه تهديـدًا أو تخويفًـا، ومـن خـلال امتصـاص المعاني وتحويلها استطاع أن يؤكد على أن سيفه في يمينه أصدق كتابة وإخبارًا عن تلك الخطابات الورقية التي يرسلها القادة في تلك المواقف، فقد استعان به في الكشف عن كذب العدو وزيفه مرارًا وتكرارًا!

أضـف إلـى ذلـك – مـن عناصـر المعارضـة الصـريحة – الاتفـاق فـي الـوزن والقافية، فضـلًا عن تضمينه شطرًا كاملًا من قصيدة أبـي تمَّام (السيف أصدق ....)

---

(١) السابق: ٩٥ –٩٧.

(٢) السابق، ٩٦.

(٣) على سبيل المثال: تجد شاعرا كـ(ابن المقري ٨٣٧هـ) كان معجبا بهذه القصيدة لحدِّ الافتتان. ينظر: ديوان المقري(مخطوط)، مطبعة نخبة الأخبار، بومباي، الهند، ١٣٠٥هـ، ١١٨، ١١٩ ، ٣٦٦، ٣٦٧...

(٤) ديوان أحمد تقي الدين، موسوعة الشعر العربي، الإصدار الأول، ٢٠٠٩م،٢٦٤، وينظر: رجال من بلادي، نجيب البعيني، دار الريحاني، بيروت، ١٩٨٤م، ١٩١.

على سبيل التضمين، وكذلك التعالق النصي مع ألفاظ بائية أبي تمَّام:(الأمير – الكذب – العرب – السيف ...).

• معارضة الشاعر التونسي الشاذلي خزنه دار(ت١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م) ؛ حيث يقول في مطلعها[١]: (من البسيط)

يا سفر سيفر[٢] وإن خطوك بالذهب (السيف أصدق أنباء من الكتب)
حلم لذيذ تقضّى في معاهدة أمست ممزقة الأطراف بالقضب
ألقى صحيفته اليونان مقتنعا من الغنيمة يا للعار بالهرب
ظلت أمانيه تذروها الرياح وقد تقشعت عن محيا الترك كالسحب
فاستوضحوه هلالا فوق رايته يلقي الأشعة عن عجم وعن عرب
قامت له الترك إجلالا تؤيّده وأيدتها اليد البيضاء في الحقب
هي البطولة لم تبرح لهم سمة أكرم بها حسبا ناهيك من حسب
تروي الورى ذكرهم عن صارم ذكر عن ساحة الحرب عن أفراسها الشهب
تبني على الفتح ما شادته جازمة بالرفع من شأنها خفضا لمنسحب
هذي المآثر في القارات خالدة دل المسبب تحقيقا على السبب
سلوا الملاحم إذ يحمى الوطيس بها سلوا المعامع عن فرسانها النجب
في الآستانة كم من آية ظهرت للفاتحين وكم جاؤوك بالعجب
نعم الأمير رويناه لفاتحها عن الرسول وخير القول قول نبي
الدردنيل وهم أسد العرين به من يوم فتْحِهِ لم يخضع لمغتضب

فالشاعر من خلال قانون (الامتصاص والتحويل) استطاع أن يشير إلى دور (مصطفى كمال أتاتورك) في رفضه معاهدة (سيفر ١٩٢٠م)، واختياره طريق الوقوف في وجه الاستعمار، ومن ثم قاد حرب الاستقلال في ظل تأييد كامل من الأتراك، كما أشار إلى عدم رضا اليونان بهذه المعاهدة، وتمسُّكهم بما معهم من مستعمرات(محمية

(١) ديوان محمد الشاذلي خزنه دار، الدار التونسية، ١٩٧٢م، ١٣٢ .

(٢) يقصد معاهدة سيفر.

أزمير) وإبقائها تحت الإدارة العثمانية، إلى أن استطاع أتاتورك الانتصار على الدول الحلفاء وإقامة الجمهورية التركية الحديثة[١].

أمَّا على مستوى الفن، فإن القصيدة قد تحققت فيها عناصر المعارضة الصريحة (الموضوع، والوزن، والقافية)، فضلا عن تأثر شاعرها باستخدام بعض أماكن المعارك، فإذا كان أبو تمَّام قد ذكر (عمُّورية)؛ فإنه ذكر (الأستانة)، و(مضيق الدردنيل)، أضف إلى ذلك تأثره بالمعجم الشعري لأبي تمَّام والذي يظهر في بعض كلمات القافية كشكل من أشكال التعالق النصي، مثل:(الكتب – قطب – الحقب – الشهب –الهرب...)، كذلك استخدامه التضمين كآلية من آليات المعارضة في أول بيت من قصيدته، (السيف أصدق أنباء من الكتب...)، فمن خلال هذه الآلية ظهرت الروح الإسلامية – كما في قصيدة أبي تمَّام– فإذا كان أبو تمَّام قد أشار إلى تلك الروح من خلال تشبيه معركة عمُّورية بمعركة بدر وتأييد الله ﷻ لهم بتسديد الرمي؛ حيث يقول:

رمـــى بـــك الله برجيهـــا فهـــدمها ولو رمى بك غير الله لم يصب[٢]

فإن الشاذلي خزنه دار، قد أشار في قصيدته إلى بشارة رسول الله بفتح تلك البلاد؛ حيث يقول ﷺ: " **لتفتحن القسطنطينية، فلنعم الأمير أميرها، ولنعم الجيش ذلك الجيش**"[٣]. فالشاعر أراد أن يلحقه بالأمراء الفاتحين كمحمد الفاتح وغيره؛ حيث يقول:

نعـــم الأميـــر روينـــاه لفاتحهـــا عن الرسول وخير القول قول نبي

---

(١) ينظر: موقف الدولة العثمانية من الحرب العالمية الأولى ونتائجه١٩١٤م–١٩٢٤م، حسن عوض الكريم علي، مجلة جامعة شندي للعلوم الإنسانية والجتماعية، ع/٤، ٢٠٢٢م، ١٦–٢٣، وينظر – أيضا – في السياق ذاته: معاهدة سيفر، https://ar.wikipedia.org/wiki/%D، والموسوعة التاريخية، مجموعة من الباحثين، ٤٩٢٦/ https://dorar.net/history/event

(٢) ديوان أبي تمَّام بشرح التبريزي، ٥٩/١.

(٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل، تح/ شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط/١، ٢٠٠١م، ٢٨٧/٣١.

إلى غير ذلك من المعارضات في القديم والحديث التي نالت عناية فائقة من الأدباء والنقاد من خلال الدرس والتحليل، مثل معارضة الشاعر الأندلسي الأصم المرواني(ت٤٠٠هـ) في مدح الخليفة عبد المؤمن الأندلسي؛ حيث يقول[١]:

ما للعِدَا جُنَّةٌ أوقى من الهرب أين المفر وخيل الله في الطلبِ!
وأين يذهب من في رأس شاهقة وقد رمته سماء الله بالشُّهُبِ
حدث عن الروم في أقطار أندلس والبحر قد ملأ العِبْرَين بالعربِ

ومعارضة الشاعر ابن القيسراني (ت٥٤٨ هـ) التي يقول في مطلعها[٢]:

هذي العزائم لا ما تدعي القضبُ وذي المكارم لا ما قالت الكتبُ

ومعارضة الشاعر ابن سناء الملك(٦٠٨هـ) التي يقول في مطلعها[٣] :

بدولة الترك عزَّت ملة العرب وبابن أيوب ذلَّت شيعة الصلب

ومعارضة الشاعر المملوكي أبو الثناء شهاب الدين محمود(٧٢٥هـ) التي يقول في مطلعها[٤] :

الحمد لله ذلَّت دولة الصلب وعز بالترك دين المصطفى العربي

---

(١) ينظر: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، عبد الواحد المراكشي، تح/ د. صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، ط/ ١، ٢٠٠٦م، ١٥٨. وينظر تحليل القصيدة في: المعارضات في الشعر الأندلسي(دراسة نقدية موازنة)، يونس طركي سلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط/١ ، ٢٠٠٨م، ١٢٢- ١٢٤.

(٢) ديوان ابن القيسراني، المكتبة الشاملة الذهبية، بدون، ١٤/١- ١٩. وينظر تحليل القصيدة في: المعارضات الشعرية (أنماط وتجارب)، ١٦١ -١٦٣.

(٣) ينظر: دراسات في الشعر في عصر الأيوبيين، محمد كامل حسين، مؤسسة هنداوي للنشر، ٢٠١٧م، ١٣٣. وتداعيات المدائح النبوية على البيئة في العصر المملوكي، د. عزت ملا إبراهيمي، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، ع ٣٤، ٢٠١٧م، ٣٤.

(٤) القصيدة في مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، شهاب الدين أحمد بن يحي العدوي العمري، المجمع الثقافي، أبو بي، ط/١، ١٤٢٣هـ، ٢٧/ ٤٥٤- ٤٥٧. وينظر التحليل في: شعر الفتوحات والمعارضات، أميرة رمضان محمد، مجلة كلية العلوم، جامعة الفيوم، م٦٥، ع١، ٢٠٢٤م، ١٦٢- ١٦٤، والمعارضات الشعرية (أنماط وتجارب): ١٤٧- ١٦٠.

ومعارضة أمير الشعراء أحمد شوقي(ت١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م) التي يقول في مطلعها[١] :

الله أكبر كم في الفتح من عجب يا خالد الترك جدد خالد العرب

ومعارضة الشاعر السوري محمد البزم(ت١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م) التي يقول فيها[٢]:

يا أيها العلم اخفق فوق أربعنا فأي قلب لدى مرآك لم يجب

أذكرتنا العهد عهد الفاتحين بني ال سفر البواسل نسل السادة النجب

لما رفعت وجيش الترك منهزم خلنا الطوائف تقصُّوا الروم في هرب

لا زلت تعلو ربوع العُرب ما بهم نفوسهم للسبعة الشهب

ومعارضة الشاعر اليمني عبد الله البردوني(ت١٤٢٠هـ /١٩٩٩م) التي يقول في مطلعها[٣] :

ما أصدق السيف إن لم ينضه الكذبُ وأكذب السيف إن لم يصدق الغضبُ

ومعارضة الفقيه والشاعر السعودي ابن عثيمين(ت١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م) التي يقول في مطلعها[٤]:

العِزُّ وَالمَجدُ في الهِندِيَّةِ القُضُبِ لا في الرَسائِلِ وَالتَنميقِ لِلخُطَبِ

---

(١) أحمد شوقي: الأعمال الشعرية الكاملة (الشوقيات) ، دار العودة، بيروت، م/١، ج١، ٥٩. وينظر جانبا من تحليل القصيدة في: نص المعارضة وإعادة إنتاج المعنى: دراسة في معارضات الإحيائيين، محمود فرغلي علي، مجلة علامات، ع٧٩، ٢٠١٤م، ١٩٧- ٢٢٦.

(٢) ينظر تحليل القصيدة في: محمد البزم شاعر الوطن والإنسان واللغة،https://www.esyria.sy/.

(٣) ديوان لعيني أم بلقيس، عبد الله البردوني، دار العودة، بيروت، ط/٢، ٨٣. وينظر تحليل القصيدة في : المؤتلف والمختلف في شعر المعارضات معارضة البردوني لأبي تمَّام نموذجا، د. محمد الصديق بغورة، جامعة المسيلة، الجزائر، مجلة القارئ للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية، م٤، ع٢، ١٩٢- ٢٠٨.

(٤) العقد الثمين من شعر ابن عثيمين، سعد بن عبد العزيز رويشد، مطابع دار الهلال للأوفيست، الرياض، ط/١، ١٩٨٠م،٣١. وينظر تحليل القصيدة في: التناص في المعارضات الشعرية: أنواعه وآلياته: معارضة ابن عثيمين لبائية أبي تمَّام أنموذجا، سمية بنت رومي بن عبد العزيز، مجلة العلوم الشرعية واللغة العربية، جامعة الأمير سطام بن عبد العزيز، ع/٩، ٢٠٢٠م، ٤٩١- ٤٥١.

المبحث الثاني

المعارضات غير الصريحة لبائية أبي تمَّام

يقصد بالمعارضة غير الصريحة أن تتفق" القصيدتان المتأخرة والمتقدمة في عناصر الشكل الخارجي وتختلفان في الموضوع العام أو العكس...، وهذا النوع من المعارضات الشعرية غالبًا ما يختفي منه وعي الشاعر بالمعارضة، **وينطلق على سجيته معتمدًا على موروثه القديم متداخلًا مع غيره من الشعراء السابقين**"[(١)] .

والحديث عن الاعتماد على التراث، والتداخل النصي – كما جاء في التعريف السابق– يشي بأن المعارضة لها علاقة قوية بالتناص؛ ولا غرو في ذلك؛ فالمعارضة هي "الركيزة الأساسية للتناص..."[(٢)]؛ وإذا كان التضمين والاقتباس من المصطلحات القديمة التي تشي بمسحة التقليد؛ فإنهما بعد ظهور مصطلح (التناص) قد أثبتا أنهما من الظواهر التي لا يمكن غضُّ الطرف عنها عند إنتاج النص الجديد، وأدلُّ دليل على ذلك أنه عندما حُدَّدت آليات التناص كان التضمين إحدى مكوناتها، فمن هذه الآليات: ما يسمى بآلية (الإيجاز)، وهي: "عملية ضغط للنص كي يبدو في صورة مصغرة "[(٣)]، ويتمثل – في إحدى طرقه – في عملية زجٍّ بعض النصوص أو أجزاء منها، كما في الاقتباس والتضمين[(٤)]؛ الأمر الذي يوحي بسعة الثقافة لدي الشاعر وارتباطه بتراثه الذي لا ينفك عنه بحال من الأحوال، ومن ثم تدور معارضته بين الوعي مرة، وبين اللاوعي مرات عديدة .

وقد اتَّسع الخلاف بين النقاد حول التقاء المعارضة مع التضمين والأخذ والسرقة؛ فعلى سبيل المثال: يرى الدكتور/ إبراهيم عوضين، عدم التقائها جميعا، فإمَّا أن تدخل

---

(١) المعارضات الشعرية دراسة تاريخية نقدية، د. عبد الرحمن إسماعيل ، النادي الأدبي ، جدة، ١٩٩٤م، ١٩، ٢٠.

(٢) ينظر: تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، د. محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط/ ٢، ١٩٨٦م، ١٢٢.

(٣) التناص في المعارضات الشعرية: أنواعه وآلياته، "معارضة ابن عثيمين لبائية أبي تمَّام أنموذجا، ٤٨٢ .

(٤) ينظر: السابق، ٤٨٢– ٤٨٤.

المعارضة في باب (السرقة الأدبية)، وإمَّا أن يجتمع التضمين مع المعارضة وحينئذٍ يكون الشاعر عنده معارضًا ومضمنًا في نفس الوقت[١].

ويكشف الدكتور/ إبراهيم عوضين، عن رأي الدكتور/ محمود رزق سليم، الذي يفهم منه أن التضمين قد يدخل في باب (السرقة الأدبية)؛ خاصة إذا أغرق الشاعر فيه، ومن ثم يلتقي مع المعارضة من وجه[٢]، ويرى الدكتور/ محمد عزام ، إنه من باب إعادة إنتاج المعنى لشدة الإعجاب به وتفوق الشاعر الأول وسبقه[٣]، وقد يكون من باب المعارضات الشعرية الضمنية(غير الصريحة)، كما يرى الدكتور/ عبد الرحمن إسماعيل، ومن لفَّ لفَّه[٤] .

ويزداد الأمر وضوحًا عند الدكتور/ عبد الوارث الحداد؛ حيث يرى أن " التضمين قد يكون بقصد وقد يكون بغير قصد، فالتضمين المقصود يقف الشاعر حياله قبل إنشاء النص جاهدا في أن يوفق في السبك الدقيق بين فكره والفكر الذي يحمل القول المضمن به، ويتوفر هذا اللون من التضمين في المعارضات التي قامت على الإعجاب والاستعانة، فالتضمين له وجود في خيال ونية المضمن، أمَّا معارضات التحدي فلا مجال فيها للتضمين، والمعارضات التي قامت على التسلِّي غالبًا ما يكون

---

(١) ينظر: المعارضة في الأدب العربي، ٢٢- ٣٠.

(٢) ينظر: السابق: ٢٥. ويقول الدكتور محمود رزق سليم تحديدًا:" والتضمين – أو الإيداع على رأي بن حجة– في مقدمة مسالك البديع التي اصطنعها أدباء العصر المملوكي، وأولعوا بها وأكثروا منها كثرة ملحوظة وتلاعبوا بها وأجادوا فيها، وخرجوا بالمضمن من بابه إلى أبواب أخرى". عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي، د. محمود رزق سليم، مكتبة الآداب، ط/١، ١٩٦٥م، ٤١٢/٨، وينظر في السياق ذاته: المرجع نفسه: ٨/ ٤٥٥، ٤٦٦.

(٣) ينظر: إعادة إنتاج المعنى في الشعر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري، ١٢٢.

(٤) مثل: الدكتور/ عبد الحميد بدران، في بحثه: عينية ابن سينا معارضاتها وأثرها في الشعر العربي، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، م/٤٠، ع/٩١، ٢٠١٦م، ١٤٠، ١٤١، والدكتورة/ إيمان الجمل في كتابها صور من المعارضات في الشعر، عالم الكتب الحديث، إربد ، الأردن، ط/١، ٢٠١٤م، ٥٠، والدكتورة فاطمة الزهراء، في بحثها فن المعارضات في الشعر المغربي(تأثر وإبداع)، مجلة الآداب، المركز الجامعي، سي الحواس، بريكة، باتنة ، الجزائر، م/٢٠، ٢٠٢٠م،٧٢.

التضمين فيها سرقة، ذلك أن الشاعر يتسلَّى ليس لديه من الوقت والقدرة ما يغنيه عن الاستعانة بفكر غيره، فيضمن أو قل يسرق، حينئذ يكون التضمين غير مقصود لذاته"[(١)]؛ لكنني أتحفَّظ على قوله: (التضمين سرقة)، فالسرقة تعتمد على الخفاء، ونحن نتساءل فنقول: أين هذا الخفاء في التضمين، والشاعر يعلنها صراحة إنه معجب بالنص الرئيس ويضمِّن منه أجمل مافيه!

ومهما يكن من أمر، فالتضمين له التقاء مع المعارضة، أو إن شئت فقل: إن المعارضة بكل روافدها وعناصرها وأنواعها لها ارتباط بالتناص، ونظرية النص الغائب؛ ولعلَّ هذا ما سماه الدكتور/ عصام حفظ الله واصل، بـ (النص الاقتباسي/ الاستشهادي)؛ حيث قال:" إذا كان التناص يمثل الحضور الفعلي لنص ما داخل نص آخر بشكل معلن أو خفي، فإن الاستشهاد يمثل الدرجة العليا لهذا الحضور النصي؛ حيث يعلن النص الغائب عن نفسه في النص الحاضر... فيصبح الحضور بين النصين مندمجا؛ حتى يغدوان كتلة واحدة غير متشظية"[(٢)]، بل إن الشاعر عندما يعارض معارضة غير تامة؛ فإنه لا يقف عند نص واحد يتداخل معه، بل يتداخل مع مجموعة من النصوص (الاستشهادات)، تتآزر وتتجاوز، أو تتحاور فيما بينها ليتشكل النص الجديد.

لكننا إذا قمنا بتصنيف المعارضات غير الصريحة تحت قوانين التناص؛ فإنها ستقع – غالبا – تحت القانون الثالث: (الحوار)، وهو أعلى مستويات التناص؛ حيث "يعتمد على القراءة الواعية المعمقة التي ترفد النص الماثل ببنيات نصوص سابقة، معاصرة، أو تراثية، وتتفاعل فيه النصوص الغائبة والماثلة في ضوء قوانين الوعي واللاوعي"[(٣)].

---

(١) من حديث المعارضات الأدبية، ٥٤.

(٢) التناص التراثي في الشعر العربي المعاصر أحمد العواضي أنموذجا، د. عصام حفظ الله واصل، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، ط/١، ٢٠١١م، ٧٨، ٧٩. وينظر في هذا السياق: المعارضات الشعرية (أنماط وتجارب)، ١٩٠– ١٩٥.

(٣) النص الغائب (تجليات التناص في الشعر العربي)، ٥٥.

وهناك من جعل هذا المستوى من التناص بمثابة نقد للنص الغائب وتخريب أو هدم لمفاهيمه، فلا قداسة لنص بشري في سبيل تفجير الطاقات الكامنة بداخله[١].

ولا شكَّ في أن هذه المساحة التي تتيحها المعارضة غير الصريحة تسمح للشاعر أن يصول ويجول داخل تراثه؛ ليقيم محاورة أدبية تاريخية تؤكد على ضرورة تقبل ثنائية الأصالة والمعاصرة، أو الماضي والحاضر، أو التقليد والتجديد؛ فلا تنفك إحداها عن الأخرى بحال. ونستطيع من خلال الصفحات القادمة أن نقف على مدى صلاحية هذه الأحكام النقدية في التطبيق على معارضات البائية غير الصريحة:

❖ **المحور الأول: من المعارضات غير الصريحة لبائية أبي تمَّام في الشعر القديم:**

● معارضة الشاعر الملك المعتمد بن عباد(ت٤٨٨هـ) ردًا على ابن الزنجاري، عندما سأله أن يزوده من شعره ؛ حيث يقول[٢]: (من البسيط)

لَو أَستَطيعُ عَلى التَزويدِ بِالذَهَبِ فَعَلتُ لَكِن عَداني طارِقُ النُوَبِ
يا سائِلَ الشعرِ يَجتابُ الفَلاةَ بِهِ تَزويدُكَ الشِعرَ لا يُغني عَن السَغَبِ
زادٌ مِنَ الريحِ لا ريٌّ وَلا شِبَعٌ غَدا لَهُ مُوثِراً ذو اللُبِّ وَالأَدَبِ
أَصبَحتُ صِفراً يدي مِمّا تَجودُ بِهِ ما أَعجَبَ الحادِثَ المَقدورَ في رَجَبِ
ذُلٌّ وَفَقرٌ أَزالا عِزّةً وَغِنىً نُعمى اللَيالي مِنَ البَلوى عَلى كثَبِ
قَد كانَ يَستَلِبُ الجَبّارَ مُهجَتَهُ بطشي وَيَحيا قَتيلُ الفَقرِ في طَلَبي
وَالمُلكُ يَحرُسُهُ في ظِلِّ واهِبِهِ غُلبٌ مِنَ العُجمِ أَو شُمٌّ مِنَ العَرَبِ
فَحينَ شاءَ الَّذي أَآتاهُ يَنزعُهُ لَم يُجْدِ شَيئا قراعُ السُمرِ وَالقُضُبِ
فَهاكَها قِطعَةً يَطوي لَها حَسَداً (السَيفُ أَصدَقُ إِنباءً مِنَ الكُتُبِ)

فالمعتمد (ملك إشبيلية) قد نبَّه ابن الزنجاري إلى أن الشعر الذي يطلب الاستزادة منه – وحده – لا يحقق له غايته في التبلغ والكفاف، ولكن لا بد وأن تكون معه عطية؛ لاسيما إن كان المطلوب منه ملكًا؛ لكن الملك قد شكا تحوُّل الزمان به، وتبدل

(١) ينظر: ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب: مقاربة بنيوية تكوينية، دار العودة، بيروت، لبنان، ط/١، ١٩٧٩م، ٢٥٣.

(٢) ديوان المعتمد بن عباد، تح/ أحمد بدوي، و حامد عبد المجيد، وزارة المعارف العمومية، المطبعة الأميرية، القاهرة، ط/١٩٥١م، ٩٢ .

الحال معه، فبعدما كان في عز وغنى أتى الفقر على كل ذلك، ثم تحوَّل المعتمد إلى مضمون الموعظة معلنًا أن الملك بيد الله ﷻ يصرفه كيف يشاء.

أمَّا على مستوى فن المعارضات، فالقصيدة تندرج تحت المعارضات الضمنية غير الصريحة؛ حيث جاء موضوعها مختلفًا عن موضوع بائية أبي تمَّام؛ فقصيدة أبي تمَّام في (المدح والتهنئة) وهذه في (الشكوى) مغلفة بالحكمة والنصيحة، لكنها اتفقت مع عناصر المعارضة في الوزن والقافية، فضلا عن اعتماد الشاعر على (التضمين الشعري) كآلية من آليات المعارضة؛ حيث استخدم الشطر الأول من مطلع قصيدة أبي تمَّام:(السيف أصدق أنباء من الكتب)، فختم به قصيدته؛ ليؤكد على تلك الحقيقة التي ليس فيها شكٌّ أو زيغ.

كما استخدم الشاعر (الاقتباس القرآني) في قوله: (فَحينَ شاءَ الَّذي آتاهُ يَنزِعُهُ...)، يقصد المعنى في قول الله تعالى :﴿ **قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[(١)] .

أضف إلى ذلك، التعالق النصي في عنصر القافية؛ حيث تأثر المعتمد بألفاظ قافية أبي تمَّام؛ مثل:(النوب – السغب – رجب – القطب – العرب – الكتب...). بل ظهرت الحوارية النصية – بقوة – على مستوى المضمون، فالشاعر قد أقام محاورة مع نص أبي تمَّام في بعض أجزائه على سبيل (الهدم والمخالفة)؛ فإذا كانت هزيمة المعتمد ونفيه وزوال ملكه في رجب[(٢)] تتوافق مع قول المنجمين بظهور أحداث عظيمة في مثل هذا الوقت من العام (شهري صفر ورجب)، فإنه مع ذلك لم يركن إلى تصديق أهل التنجيم، وإنَّما رجع الأمر إلى قضاء الله ﷻ وقدره. يقول المعتمد:

أَصبَحتُ صِفراً يدي مِمّا تَجودُ بِهِ ما أَعجَبَ الحادِثَ المَقدورَ في رَجَبِ

(١) سورة آل عمران، الآية: ٢٦.

(٢) على يد المأمون بن ذى النون متحالفا مع الفونسو ملك قشتالة . ينظر: دولة الإسلام في الأندلس، محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط/٤، ١٩٩٧م، ٢/ ٦٣.

- معارضة الشاعر المصري فخر القضاة ابن بصاقة(ت٦٥٠هـ) التي تشفع فيها للعماد بن السلماسي عند سيف الدين الآمدي بأن يقرأ عليه؛ حيث يقول فيها[١]:

يا سيداً جمل اللَّه الزمان به وأهله من جميع العجم والعرب
العبد يذكر مولاه بما سبقت وعوده لعماد الدين عن كثب
ومثل مولاي من جاءت مواهبه عن غير وعد وجدواه بلا طلب
فأصف من بحرك الفياض مورده وأغنه من كنوز العلم لا الذهب
واجعل له نسباً يدلي إليك به فلحمة العلم تعلو لحمة النسب[٢]
ولا تكله إلى الكُتْب تنبئه فـ(السيف أصدق أنباء من الكتب)

وعلَّق الصفدي على هذه القطعة الشعرية قائلاً:" قد جاء في هذا البيت أحسن ما يكون من تضمين قول أبي تمَّام لاشتراك لفظة السيف... "[٣]؛ فالتضمين جاء بقضِّه وقضيضه لفظًا، إلا أن المعنى مختلف – تمَّاما– لأن السيف المقصود هو الآمدي وليس السيف المعروف؛ ولأن الكتب المقصودة عند فخر القضاة غير كتب المنجمين التي قصدها أبو تمَّام في بائيته؛ والأبيات تؤكد على أن التعلم من الشيخ مشافهة أصوب وأفضل ممن جعل شيخه كتابه؛ فلربما ضلَّ عن طريق الجادة والصواب، كذلك تضمينه المعنى في هذا القول المشهور بين العلماء الذي صار كالمثل: (العلم رحم بين أهله)؛ حيث قال ابن بصاقة: (...فلحمة العلم تعلو لحمة النسب).

- وكتب الأديب والمؤرخ الدمشقي شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري(ت٧٤٩هـ) كتابا في (الشتويات)؛ لما توالى بمدينة دمشق في شتاء عامين

---

(١) الوافي بالوفيات، الصفدي، تح/ أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ،٢٢٧/٢١.

(٢) من أحمل ما قيل في ذلك، قول الإمام النووي عن نقل العلم وتسلسله إلى رسول الله ﷺ:" وَهَذَا مِنْ الْمَطْلُوبَاتِ الْمُهِمَّاتِ وَالنَّفَائِسِ الْجَلِيَّاتِ الَّتِي يَنْبَغِي لِلْفَقِيهِ وَالْمُتَفَقِّهِ مَعْرِفَتُهَا وَيَقْبُحُ بِهِ جَهَالَتُهَا، فَإِنَّ شُيُوخَهُ فِي الْعِلْمِ آبَاءٌ فِي الدِّينِ وَوَصْلَةٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَكَيْفَ لَا يَقْبُحُ جَهْلُ الْأَنْسَابِ وَالْوَصْلَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ الْكَرِيمِ الْوَهَّابِ مَعَ أَنَّهُ مَأْمُورٌ بِالدُّعَاءِ لَهُمْ وَبِرِّهِمْ وَذِكْرِ مَآثِرِهِمْ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ وَالشُّكْرِ لَهُمْ". مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، الحطاب الرعيني المالكي، دار الفكر، ط/ ٣، ١٩٩٢م، ٥/١.

(٣) الوافي بالوفيات، ٢٢٧/٢١.

آخرهما سنة(٧٤٥هـ) من نوازل الثلج ما لا يدفع، كاتب ابن فضل الله العمري كتَّاب عصره وأئمة البيان يخبرهم ويستمطرهم بيانهم في صفة ما نزل بدمشق، فمن ذلك أنه كتب إلى ابن الوردي قصيدة يقول في مطلعها[١] :

هــلا أعــارت دمشــقًا أختهــا حلــب عينًـــا فتـــرحم أو قلبًـــا فيكتئـــبُ

فأجابه الشاعر ابن الوردي، شاعر معرّة النعمان(ت٧٤٩هـ) معارضًا بقصيدة يقول في مطلعها[٢]:

وافـى الكتـاب الـذي تعنـو لـه الكتـبُ من الشهاب الذي تسمو به الشهبُ

ثم يقول فيها[٣]:

يـا بـرقُ قلْ لـي ويـا سطرَ السحابِ (السـيف أصـدقُ أنبـاءً أمِ الكتـبُ)

فالســحبُ والبــرقُ يتلوهــا كغاشــيةٍ مــنَ الــدخانِ علــى آثارهــا لهــبُ

أو كالعشــارِ التــي غنَّــتْ رواعــدُها مثـلَ الحـداةِ التـي أصـواتُها ذهـبُ

مــولايَ إنَّــا لفــرطِ الحــبِّ فيــكَ إذا أمـر عَنـاكَ كأنَّـا فيـكَ نصـطحبُ

فكلُّ مـا فـي دمشـقَ حلَّ مِـنْ جللٍ فشـطرَ ذلـكَ قاسـتْ أختُهـا حلـبُ

إنَّ المصـــائبَ بالأقـــدارِ كائنـــةٌ لكنْ علـى حسـبِ الأقدارِ تُحتسـبُ

عجبـتُ منـي ومـنْ غيـري تشـوقنا إلـــى ازديـــادِ حيـــاةٍ كلُّهـــا تعـــبُ

وإنْ دُهمنـــا بســـيلٍ أو بنـــوعِ أذى كـالثلجِ والنـارِ حِزْنـا مـا هـو السـببُ

أقســمتُ بــاللهِ لــولا حلْــمُ خالِقِنــا لكانَ مِنْ عشْرِ ما نأتي بـهِ العطَبُ

ودهرُنـــا أيُّ دهـــرٍ فـــي تقلُّبِـــهِ قَدْ هـانَ فيـهِ التقـى والعلـمُ والأدبُ

(١) ديوان ابن الوردي: تح/ عبد الحميد هنداوي، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط/١، ٢٠٠٦م، ٨٣.

(٢) السابق: ٨٣– ٨٥

(٣) السابق: ٨٤– ٨٥

لـي أُسوةٌ بانحطـاطِ الشمسِ عَنْ زحلٍ فإنْ علانـيَ مَنْ دونـي فـلا عجـبُ[1]
وإنْ يكـنْ كسـدَ الـورديُّ فـي حلـبٍ فالمنـدلُ الرطـبُ فـي أوطانِـهِ حَطَـبُ
ما شبْتُ وحدِي عذارُ الماءِ شابَ إلى أنْ صـارَ ثلجـاً كـذا الأحـوالُ تتقلـبُ
يـا واصفَ السيلِ وصفاً هالَ سامعَهُ فالقلـبُ والخـوفُ مِـنْ أوصـافِهِ يجـبُ
كـم شـادَ مـنكمْ قـوى الـدنيا أخٌ فـأخٌ وسـادَ فـيكم إلـى العليـا أبٌ فَـأبُ
فيعبـرونَ مـدى الكتَّـابِ إنْ كتبـوا وينشـرون فتـى الخطَّـابِ أنْ خطبـوا

وتلك قصيدة أخرى تؤكد على التطور في ناحية الموضوعات؛ حيث جاءت في (الشتويات) وهو مضمون لا شكَّ يقع تحت موضوع أوسع هو(وصف الطبيعة)، الذي تعلَّق بمضمون (الإخوانيات)، معلنًا عن مدى المودة والشوق بين هذين الشاعرين؛ ممَّا جعل القصيدة – في الأخير– لا تتفق مع بائية أبي تمَّام في الموضوع، لكنها تناصت معها موسيقيا من زاوية الاتفاق في الوزن والقافية.

وقد بدا ابن الوردي متأثرًا بأبي تمَّام من زوايا أخرى، تظهر في استخدام المفردات التي تصف العالم العلوي سحبه وبرقه ورعده، مثل: (يا برق – سطر السحاب – فالسحب والبرق – العشار – رواعدها)؛ ليصور ما حلَّ بدمشق من مصائب – بفعل أهلها – مضمنًا بعض الألفاظ والمعاني القرآنية، مثل (غاشية – الدخان – لهب – العشار)؛ ومعارضا ابن فضل الله العمري؛ ليؤكد على أن حلبًا تقاسي من المصائب ما تقاسيه دمشق؛ وكأنها ترفض إلا أن تشارك دمشق أحزانها ومآسيها، وفي سبيل إبراز هذه المعاني اعتمد الشاعر على الاقتباس القرآني، موظِّفا بعض المعاني، مثل قوله:

أقسـمتُ بـاللهِ لـولا حلْـمُ خالِقِنـا لكانَ مِنْ عشْرِ ما نأتي بـهِ العطَبُ

يقصد المعنى في قول الله تعالى: ﴿**وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ**

---

(١) هذا البيت في الأصل بيت الطغرائي (ت ٥١٥هـ) من لاميته المشهورة بلامية العجم، ضمَّنه ابن الوردي بعد أن جعل صدره عجزا، وعجزه صدرا؛ إذ أصله في لامية الطغرائي:

فإنْ علانيَ مَنْ دوني فلا عجـب لي أُسوةٌ بانحطاطِ الشمسِ عَنْ زحلٍ

ينظر: ديوان الطغرائي، تح/ د. علي جواد الطاهر، د. يحيى الجبوري، ط/ دار القلم، الكويت، ط/٢، ١٩٨٣م، ٣٠٧.

﴿يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[١].

بل ما أعظم هذه الصورة الفارقة التي استخدم فيها ألفاظ الكواكب(الشمس وزحل) – كما عند أبي تمَّام– ليعبِّر عن تقلب الدهر وهوان أهل الدين والعلم والأدب فيه، ولكن في إطار تجديدي؛ حيث يقول:

ودهرُنـــا أيُّ دهـــرٍ فـــي تقلُّبِـــهِ قَـدْ هـانَ فيـهِ التقـى والعلـمُ والأدبُ

لـي أُسوةٌ بانحطاطِ الشمسِ عَنْ زحلٍ فـإنْ علانـيَ مَـنْ دونـي فـلا عجـبُ

ثم ختم ابن الوردي قصيدته بالحكمة والموعظة التي تقضي بأن الفناء أمرٌ محتَّم على الجميع، وعلى رأسهم هؤلاء الملوك الذين اغتروا بترف الحياة وزهوها؛ فلقد كانوا من أعظم أسباب ضياع دمشق وحلب؛ لأن همتهم قد توقَّفت عند حدود الرسائل المنمقة، والخطب الرنانة التي لا تؤتي أُكلها إلا بتطبيق على أرض الواقع، بل ما أروع ذلك التوظيف الذي يسهم في إبراز تلك المعاني؛ حيث يقول:

فيعبـرونَ مـدى الكتَّـابِ إنْ كتبـوا وينشرون فتى الخطَّابِ أنْ خطبوا

حيث وظَّف شخصية عمر بن الخطاب ﷺ؛ فجعله علمًا ومثالًا يحتذي به في الخطابة على مرِّ الأعصر والأزمنة؛ فإذا ذكرت الخطب كان عمر هو فارسها الأول، وشتان بين فارس وفارس! ولعله أراد أن يقول: (فَتِيَّ الخِطَابِ إن خطبوا)، أي: ينشرون العبارات القوية والمنمَّقة التي تأخذ بمجامع القلوب والعقول، لكن الوزن لا يستقيم!

- معارضة الشاعر المملوكي جمال الدين بن نباتة(ت٧٦٨هـ) التي يقول في مطلعها[٢]: (من البسيط)

عوِّض بكأسكَ ما أتلفتَ من نشبٍ فالكأسُ من فضةٍ والرَّاحُ من ذهب

واخطبْ إلى الشربِ أمَّ الدهر إن أختُ المسرَّةِ واللهو ابنةَ العنب

غرَّاءُ حاليةُ الأعطافِ تخطرُ في ثوبٍ من النورِ أو عقدٍ من الحبب

عذراءُ تُنجزُ ميعادَ السرورِ فما تومي إليك بكفٍّ غيرِ مختضب

مصونةٌ تجعلُ الأستارَ ظاهرةً وجنةٌ تتلقى العينَ باللهب

لو لم يكن من لقاها غيرُ راحتنا من حرفة المتعبين العقلِ والأدب

(١) سورة النحل، الآية: ٦١.

(٢) ديوان ابن نباتة المصري، ٢١– ٢٣.

فهات واشربْ إلى أن لا يبينَ لنا أنحنُ في صعدٍ نستنُّ أم صبب
خفت فلو لم تدرْها كفٌّ حاملها دارت بلا حاملٍ في مجلس الطرب
يا حبَّذا الرَّاح للأرواحِ سارية تقضي بسعد سراها أنجم الحبب
من كفِّ أغيدَ تروي عن شمائله عن خدِّه المشتهَى عن ثغرِهِ الشنب
علقته من بني الأتراكِ مقترِباً من خاطري وهو منِّي غيرُ مقترب
حمَّالة الحلْي والديباجِ قامتهُ تَبَّتْ غصونُ الرُّبا حمَّالة الحطب
يا تاليَ العذْلِ كُتْباً في لواحظه (السيفُ أصدقُ أنباءً من الكتب)
كم رمتُ كتمَ الجوى فيه فنمَّ به إلى الوُشاةِ لسانُ المدمعِ السرب

يلاحظ من خلال مضمون أبيات هذه القصيدة أنها تختلف عن موضوع بائية أبي تمَّام، وهو ما يجعلها تقع تحت (المعارضات غير الصريحة) مع اتفاقهما في الوزن والقافية، فقصيدة ابن نباتة موضوعها (وصف الخمر والتغزل بالغلمان)؛ تلك الظاهرة التي تفشت في العصر العباسي وما تلاه من عصور متتابعة؛ الأمر الذي يدلُّ بما لا يدع مجالًا للشكِّ عن تفسُّخ قطاع كبير من المجتمع العربي وانحلاله آنذاك!

لكن هذا لا يمنع من الإقرار ببراعة ابن نباتة في وصفه، وبراعته في استخدام الأساليب الرائقة التي تتمشى مع موضوع القصيدة؛ فالخمر – عنده –: (أم الدهر – أخت المسرة – ابنة العنب – غراء – عذراء ...)، إلى غير ذلك من الصور الفنية البديعة التي تشع بألوان من التشبيهات، والاستعارات، والكنايات.

وعند حديثه عن لوم العاذلين بسبب عشقه وتغزله بالغلام الذي يسقيه الخمر، نراه يطلقها مدوية: (... السيف أصدق أنباء من الكتب)، أي أن ألحاظ هذا الغلام أشد فتكًا به من كلام العاذلين والناهين له عن خوضه في مثل ذلك؛ حتى ولو وصلت المآخذ عليه حدَّ كتابة مؤلفات ورسائل تحذِّر من الوقوع في شرك هذه الخطيئة العظيمة؟! حيث يقول:(يا تاليَ العذْلِ كتباً في لواحظه...).

وممَّا يدلُّ على براعة الشاعر وتجديده، أنه استطاع أن يقيم محاورة مع نص أبي تمَّام في جزء من أجزائه على سبيل: (الهدم والمخالفة)، كما هو معروف في قانون التناص (الحوار)؛ فإذا كان المعتصم قد خالف المنجمين ومضي في غزوه، فإن ابن نباتة قد خالف العواذل ومضى في تغزُّله بغلامه الذي يسقيه الخمر! كل ذلك استطاع

أن يقدمه الشاعر من خلال التضمين الذي يقع تحت آلية (الإيجاز) في التناص الشعري. بل ما أروع هذه التورية في قوله:(تبت غصون الربا حمالة الحطب)، كما استطاع الشاعر ببراعة أن يوظِّف الشخصيات والمعاني القرآنية، ولكن في غير الإطار الذي وردت فيه؛ حيث يقول:

حمَّالــة الحلــي والــديباجِ قامتــهُ تبت غصونُ الرُّبا حمَّالة الحطب

يلاحظ أن الشاعر استعان على إيصال هذه الصورة الشعرية بقول الله تعالى:﴿**تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۞ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۞ سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۞ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۞ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ**﴾[(١)]. أضف إلى ذلك، التعالق النصي في عنصر القافية مع بائية أبي تمَّام، مثل ألفاظ:(ذهب – العنب – مختضب – الطرب– الحطب – الكتب – السرب...).

- معارضة جمال الدين بن نباتة(ت٧٦٨هـ)، يرثي فيها تقي الدين السبكي(ت٧٥٦هـ)؛ حيث يقول في مطلعها[(٢)]:

نعــــاه للفضـــــل والعليـــــاء والنســـــب ناعيـــه لـــلأرض والأفـــلاك والشـــهب

نــدب رأينــا وجــوب النــدب حــين مضــى فــأي حــزن وقلــب فيــه لــم يجــب!

نعــم إلــى الأرض ينعــى والســماء عــلا فقيــدكم يــا ســراة المجــد والحســب

بـــالعلم والعمـــل المبـــرور قـــد ملئـــت أرضٌ بكـــم وســـماءٌ عـــن أبٍ فـــأبِ

مقـــــدم ذكـــــر ماضـــــيكم ووارثـــــه فــي الوقــت تقــديم بســم الله فــي الكتــب

آهـــا لمجتهـــد فـــي العلـــم يندبـــه مــن بــات مجتهــدا فــي الحــزن والحــرب

بينـــا وفـــود العـــلا والعلـــم ينـــزلهم إذ نازلتنـــا الليـــالي فيـــه عـــن كثـــب

وأقبلـــــت نـــــوب الأيـــــام ثـــــائرة إذ كـــان عونـــا علـــى الأيـــام والنـــوب

(١) سورة المسد: الآيات ١: ٥.

(٢) ديوان ابن نباتة، ٤١-٤٣.

ففاجأتنـــا يـــد التفريـــق مســـفرة عـــن ســـفرة طـــال فيهـــا شـــجو مرتقـــب
وجـــاء مـــن نحـــو مصـــر مبتـــدا خبـــر لكـــن بـــه الســـمع منصـــوب علـــى النصـــب
قالـــت دمشـــق بـــدمع النهـــر واخبـــرا "فزعـــت فيـــه بآمـــالي إلـــى الكـــذب "[1]
"حتـــى إذا لـــم يـــدع لـــي صـــدقه أمـــلا شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بي الكتب"[2]
وكلمتنـــا ســـيوف الكتـــب قائلـــة: (مـــا الســـيف أصـــدق إنبـــاء مـــن الكتـــب)
وقـــال مـــوت فتـــى الأنصـــار مغتبطـــا الله أكبـــر كـــل الحســـن فـــي العـــرب

يتضح من خلال تحليل معاني وأفكار هذه القصيدة أنها قد اختلفت في موضوعها عن موضوع بائية أبي تمَّام فهذه في (الرثاء)، والأخرى في (المدح والتهنئة)؛ لكنهما وقع بينهما توافق في ناحية الوزن والقافية، والذي يظهر بقوة من خلال التعالق النصي مع ألفاظ القافية، كما وسَّع ابن نباتة دائرة التضمين لتشمل تضمين نصوص عند أبي تمَّام وغيره؛ حيث ضمن من بائية أبي تمَّام الشطر الأول من المطلع المشهور: (السيف أصدق أنباء من الكتب)، وضمن للمتنبى بيتًا وشطر بيت؛ حيث يقول:

قالـــت دمشـــق بـــدمع النهـــر واخبـــرا (فزعـــت فيـــه بآمـــالي إلـــى الكـــذب)
(حتـــى إذا لـــم يـــدع لـــي صـــدقه أمـــلا شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بي الكتب)
وكلمتنـــا ســـيوف الكتـــب قائلـــة: (مـــا الســـيف أصـــدق إنبـــاء مـــن الكتـــب)

فقد يقول قائل: إن ابن نباتة قد عارض المتنبي، وقد يقول آخر إنه عارض أبا تمَّام؛ لكنك إذا رجعت إلى قصيدة المتنبي وجدته متأثرًا بأبي تمَّام، لا سيما في جانب الموسيقي؛ الأمر الذي يؤكد على أن المعارضة غير الصريحة أوسع مجالا وأرحب ميدانا في اتكاء الشعراء عليها ليستمر ركب الشعر الذي يجمع بين الأصالة والمعاصرة، والتقليد والتجديد.

---

(١) يلاحظ أن الشاعر قد ضمن الشطر الثاني من بيت في قصيدة المتنبي التي يرثي فيها أخت سيف الدولة الكبرى، ينظر: ديوان أبي الطيب المتنبي، ٤٢٣.

(٢) ينظر: السابق، ٤٢٣.

كما ظهرت مسحة التجديد على مستوى التوظيف الشعري، والتصوير، والمحسنات البديعية، فعلى سبيل المثال: قد وظَّف ألفاظ علم النحو:(المبتدأ – الخبر– منصوب)؛ حيث يقول:

وجاء من نحو مصر مبتدا خبر لكن به السمع منصوب على النصب

ومن الصور البديعة التي فيها امتداد لصور أبي تمَّام، قوله: (وكلمتنا سيوف الكتب قائلة...)؛ على سبيل الاستعارة المكنية، فكما أن (السيف) أخذ صفة الصدق عند أبي تمَّام، فقد أخذ صفة الكلام عند ابن نباتة؛ كشيء من لوازم الإنسان وصفاته!

- معارضة محمد أمين الطيب(ت١١٣٥هـ)، بعدما سمع بجمع كتاب: (الروض النضر في ترجمة أدباء العصر)؛ حيث يقول[١]:

لله روض نضير جلَّ عن شبه قد حاز منتخب الآداب والكتب
مستظرف لجميع الفضل مشتمل على غريب بديع النظم والأدب
قد ضم أبكار أشعار محاسنها قد أخجلت قاصرات الطرف من عرب
وقد حوى كل فن في القريض كذا جمع العلوم وأنواعاً من النسب
وأبكم الفصحاء اللسن في حكم مخدرات عن الأفهام في حجب
لا تنكروا فضله إذ جاء تاليهم "فإن في الخمر معنى ليس في العنب"[٢]
كذا مصنفه الفرد الجواد بدا لقمع داء الدواهي الدهم منتدب
الوارث المجد عن آبائه الفضلا فليس إن فاق أهل العصر بالعجب
إن جاد فالبحر لا يوفي بنائله وإن سطا أهلك الأعداء بالعطب
إن أمه طالب أكفاه حاجته بالثوب والزاد ثم الشمع والحطب
ما جاءه قاصد يشكو ملمته إلا أزال العنا عن ذلك الكئب
وإن تمردت الأعداء قال لنا (السيف أصدق أنباء من الكتب)

(١) الروض النضر في ترجمة أدباء العصر، عصام الدين عثمان بن علي بن مراد العمري، تح/ د. سليم النعيمي، مطبعة المجمع العلمي العراقي،١/ ٤٠٨– ٤١٠.

(٢) ينظر الشطر الثاني في: ديوان المتنبي، ٤٢٥.

لا عيب فيه سوى جود براحته قد فاق بالحلم أهل الفضل والحسب
شريف ذات زكي الأصل ذو همم بهي خلق جميل الحلق والنسب
ذو همة قد بدت فوق السماك علت قد أذهبت زلل الأكدار والكرب
سمي عثمان ذي النورين كنيته أبا شفيقة ثبت الجأش في النصب
يكفيك فضلا ابن عثمان يا ثقتي أن قد تفردت بالآداب والأرب
وفقت كل الورى طراً بمعرفة وحكمة وسخا يغني عن السحب
رقيت للمجد من درج إلى درج حتى رقيت السها بالعز والرتب
لازلت في رفعة تسمو على شرف ما غرد الأيك والورقاء من طرب

والقصيدة موضوعها المدح إلا أن المضمون المقصود هو (مدح المصنفات العلمية) وإن تطرق الشاعر إلى مدح صاحب الروض عصام الدين بن مراد العمري، بالعديد من الصفات – غير قاصد موقعة أو موقفًا بعينه – كالشجاعة، وشرف النسب، والحكمة، والسخاء والكرم، لكنها اتفقت موسيقيا مع بائية أبي تمَّام، فجاءت على بحر البسيط وروي الباء الذي أسهم في تعلق ألفاظه ببائية أبي تمَّام بنسبة كبيرة؛ بدافع الإعجاب.

أضف إلى ذلك تضمين الشاعر القول المشهور في مطلع بائية أبي تمَّام: (السيف أصدق أنباء من الكتب)، وكذلك تضمينه الشطر المشهور لدى المتنبي في قصيدته التي يرثي فيها أخت سيف الدولة الكبرى:(فإن في الخمر معنى ليس في العنب)، كذلك اعتماده على توظيف الشخصيات كملمح تجديدي، وذلك عندما وظَّف شخصية الصحابي الجليل عثمان بن عفان ﷺ كشخصية خيرة منفقة في سبيل الله ﷻ تشبهها شخصية ممدوحه؛ حيث يقول موظِّفًا الاسم (عثمان) مرة، واللقب (ذي النورين) مرة، والكنية (أبا شفيقة) مرة؛ حيث يقول:

سمي عثمان ذي النورين كنيته أبا شفيقة ثبت الجأش في النصب
يكفيك فضلا ابن عثمان يا ثقتي أن قد تفردت بالآداب والأرب

وهناك موضوع آخر قد نلمح فيه المعارضة غير الصريحة التي تعتمد أسلوب الحوار، الذي يقوم على المخالفة، لاسيما مع بائية أبي تمَّام، ألا وهو موضوع: (المناظرات أو

المحاورات بين السيف والقلم)[١]، مستعينين وربما معجبين أو محاورين مطلع وموسيقى بائية أبي تمَّام، فيتناصون معها مخالفين الغرض والمضمون، ومن ذلك بائية ابن نباتة السابقة التي يفضل فيها القلم على السيف، فيقول:

وكلمتنـــا ســـيوف الكتـــب قائلـــة: (ما السيف أصدق إنباء من الكتب)

فقد يقول قائل: أين أجد هذا التفضيل في بائية ابن نباتة؟ والجواب : أن الشعراء قد يستخدمون الكتاب ويريدون به القلم والعكس، مثل قصيدة بطرس كرامة؛ حيث يقول[٢]:

لـولا حسـامك يـا فتـاك مـا نشـدوا (السيف أصدق أنباءً من القلمِ)

ومن الكتاب الذين آمنوا بتفضيل القلم على السيف: صاحب نهاية الأرب؛ حيث عدَّد في مقدمة الجزء الثاني ما سيشتمل عليه من نصوص لأصحابها من ذوي الفضل والعلم والأدب؛ حيث يقول:"... إلى غير ذلك: من كاتب، ذي رأيٍ صائب، وفهم ثاقب؛ انقادت له المعاني بأسهل زمام، وأغنت صحائفه عن صفحات الحسام:

لـو لاحظـت عـين ابـن أوسٍ كتبـه ما قال: (إن السيف منها أصدقُ)"[٣]

ناهيك عن سيطرة مطلع بائية أبي تمَّام كتضمين خالص في كثير من النتف الشعرية التي لا ترتقي أن تكون معارضة مثل قول: الشيخ شرف الدين محمد بن موسى القدسي(ت٧١٢هـ) التي يمدح فيها عيسى بن داود البغدادي الحنفي، سيف الدين المنطقي(ت٧٠٥هـ)؛ حيث يقول[٤]:

إذا أتيـت لسـيف الـدين ملتمسـا علما لترفع ما بالجهل من حجب

خل الكتاب وخذ من لفظه حكما (السيف أصدق أنباء من الكتب)

---

(١) للمزيد ينظر: الأفضلية بين السيف والقلم في الشعر العربي،،حسن شهاب الدين، دار اليمامة للبحث والنشر والتوزيع ، م/٥٥، ع/ ١١، ١٢، ٨٠٣- ٨٢٤.

(٢) ديوان بطرس كرامة(سجع الحمامة)، المطبعة الأدبية، بيروت، ١٨٩٨م، ١٧٣- ١٧٦.

(٣) نهاية الأرب في فنون العرب، النويري، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط/١، ١٤٢٣هـ، ٢/١- ٣.

(٤) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ابن حجر العسقلاني، تح/محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر اباد ، الهند، ط/١٩٧٢،٢م، ٤/٢٣٩.

في هذه النتفة يسير محمد بن موسى القدسي في مدح (سيف الدين المنطقي) على نهج ابن بصاقة في مدح (سيف الدين الآمدي)، مؤكدًا على أهمية الأخذ من لفظ الشيخ وعدم الاعتماد في التعلم على الكتب – فقط – فالأخذ من فمِ الشيخ أضبط وأفهم وأصدق، وقد ضمن الشاعر لفظة (السيف) يقصد بها: (سيف الدين المنطقي).

ومن تلك النتف: ما قاله الفقيه الأندلسي العدل القارئ أبي زيد عبد الرحمن بن محمد الصنهاجي المليلي، في سيف أمير المؤمنين إدريس الثاني[١] بن إدريس بن عبد الله المحض بن الحسين، الذي وضعه الأمير أحمد بن أبي بكر فوق المنارة (الصومعة) للتبرك به، حتى لا يطول النزاع عليه بين حفدته، وقد قيل في ذلك أقاويل كثيرة، منها: إن وضع السيف فوق المنارة كان طلسمًا على البلد لما كان عليه الناس حينئذ من الافتئات على الأمراء وقلة الانقياد؛ ولأجل ذلك لا يبيت إنسان بها إلا مغموما، وقد قيلت مقطوعات شعرية في ذلك كله[٢]، هذه منها :

ألمْ بفاسٍ ولا تسمعْ لقائلهمْ سيف المنار كساها ثوب مكتئبِ
أما ترى الشمسَ راقتْ تحتَ كاتبها و(السيفُ أصدقُ أنباءً من الكتبِ)

يقول ابن الأحمر معلقًا على هذين البيتين: "كما أن الشمس لا يضرها كونها تحت الكاتب، كذلك (فاس) لا يضرها كونها تحت السيف، بل هي أحق بذلك لكون السيف أشرف من قلم الكاتب بدليل قول حبيب: (السيفُ أصدقُ أنباءً من الكتبِ)"[٣].

ومن النتف الشعرية التي ضمَّنت مطلع بائية أبي تمَّام: ما جاء في الغزل بالمذكر، مثل: قول[٤] المفتي عبد الرحمن بن محمد بن عماد الدين(١٠٥١هـ):

واوات أصداغه للعطف بالأرب وسيف ألحاظه ينبى عن العطب
والنفس بينهما حارت فقلت لها (السيف أصدق أنباء من الكتب)

---

(١) ثاني ملوك دولة الأدارسة في المغرب.

(٢) ينظر ما قيل من الشعر في السيف الذي بصومعة جامع القرويين من مدينة فاس: أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن (المعروف بكتاب نثير الجمان...)، بن الأحمر، تح / د. محمد رضوان الداية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/١، ١٩٧٦م، ٤٥١– ٤٦١.

(٣) أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن، ٤٥٥.

(٤) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، للمحبي، دار صادر، بيروت، بدون، ٣٨٥/٢.

وقول[١] القاضي عبد القادر بن أحمد النزيلي:

وافى الغزال وكُتْب الخل في يده وسيف لحظيه مشهور ليفتك بي

فقلت: ضع كُتْبه تكفي اللحاظ بنا (السَّيف أصدق أنباء من الكتب)

وقد سبقه إلى هذا من قال وقد أرسل إلى محبوبه بكتاب[٢] :

ها قد بعثت رسولي من كلفت به وفي كتابي ما ألقى من الوصب

فدع كتابي وسل عني لواحظَه (السيف أصدق أنباء من الكتب)

وقال آخر[٣] :

خط العذار نهاني عن محبّته وقال أقصر فقد لحيَّت في الطلب

وقال لي لحظهُ سلوانه غلط (السَّيف أصدق أنباء من الكتب)

وقال[٤] عبد الله بن الفقيه الصوفي العدني اليمني، عمر بن الإمام العلامة عبد الله بن أحمد محزمة(ت٩٧٢هـ):

الواو من صدغه في العطف يطمعني والسيف من لحظه يومي إلى العطب

فحين ما حرت قام الهجر ينشدني (السيف أصدق أنباء من الكتب)

والملاحظ أن هذه النتف في أغلبها قد صدرت عن فقهاء لهم باع كبير في العلم والأدب والفضل؛ ومستبعد أن يتغزلوا بالألحاظ، وخط العذار، والأصداغ من الغلمان؛ الأمر الذي يرشح أن التضمين قد جاء هنا على سبيل التسلية وإثبات القدرة الفنية على منافسة الشعراء الفحول في هذا الموضوع أو غيره؛ والدليل على ذلك شبه الإجماع المتفق على توظيف مطلع البائية.

---

(١) طيب السمر في أوقات السحر(مخطوط)، ابن الحيمي، مخطوطات جامعة الملك سعود، الناشر: وقفية الأمير غازي للفكر القرآني، ١/ ١٢٦.

(٢) طيب السمر في أوقات السحر: ١/١٢٦.

(٣) السابق، ١/١٢٦.

(٤) النور السافر عن أخبار القرن العاشر، محي الدين بن العيدروس، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ، ٢٥٢.

❖ **المحور الثاني ـ من المعارضات غير الصريحة لبائية أبي تمَّام في الشعر الحديث:**

من المعلوم أنَّ البارودي هو رائد (مدرسة المحافظين) في العصر الحديث؛ لكنَّنا لا نستطيع أن نغفل الإرهاصات التي سبقته من جانب الشعراء الذين أسهموا في تلك المحاولات التقليدية للعودة بالشعر إلى مساره الصحيح الذي يتكئ على التراث، كمرجعية ينطلق المبدع من خلالها إلى التجديد والمعاصرة، مثل: الشاعر جرمانوس فرحات، والشاعر بطرس كرامة، كما نستطيع أن نصنف الشاعر حافظ إبراهيم، والشاعر حمَّاد الباصوني من روَّاد هذه المدرسة المحافظة.

• معارضة الشاعر السوري المطران جرمانوس فرحات (ت ١١٤٤هـ/١٧٣٢م) موبخًا اليهود عندما كان ببلاد الدروز؛ حيث يقول[١] : (من البسيط)

دع اليهود فلا ينفك خبثُهمُ ... يبدي لدينا دخانَ الكفر والكذبِ
يفاخرون بأجدادٍ بهم فتكوا ... فتك الأفاعي بلا ذنبٍ ولا سبب
يفاخرون بأصلٍ كان من قدمٍ ... كتابهم ذلك المعهود من حقب
فإن تقدمنا منكم ذوو نسبٍ ... فكم تقدَّم يسوعَ المسيحَ نبي
كتابنا إن تأخر عن كتابكم ... "فإن في الخمر سرّاً ليس في العنب"[٢]
لو شئتم الكتب ما قالت فعائلكم ... (السيف أصدق إنباءً من الكتب)
كفاكم العار لما قال عجلكمُ ... أنا إلهك يا يعقوب فالحق بي[٣]

فعلى عادة جرمانوس فرحات، في سلوكه مسلك التصحيح والإصلاح في ديوانه– سواء كان مخاطبًا قومه من النصارى أو من اليهود – نراه يوبخ اليهود ويذمهم في تلك القصيدة، مخالفًا بذلك موضوع بائية أبي تمَّام، ومتفقًا معها – فقط– في الشكل الخارجي وهو الوزن والقافية.

---

(١) ديوان السيد جرمانوس فرحات، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، ط/٢، ١٨٩٤م، ٨٧، ٨٨.

(٢) ينظر: الشطر الثاني من البيت في: ديوان المتنبي، ٤٢٥.

(٣) البيت فيه تلميح إلى العجل الذي صاغه السامري من حلي النساء؛ **وقد أخطأ محقق الديوان** عندما قال: صاغه هارون أخو موسى عليهما السلام. ينظر : الديوان، ٨٨.

وفي هذه القطعة الشعرية ركَّز الشاعر على خبث ومكر اليهود، وكيف أنهم كانوا- وما زالوا – يفاخرون بأصولهم الأولى التي دنسوها بسوء أخلاقهم، وبكتابهم الذي حرفوه وبدَّلوه!

والشاعر قد استطاع ببراعة منقطعة النظير أن يبني صوره الفنية على أسلوب المقابلة، لكي يتضح المراد؛ حيث يقول:

فإن تقدمنا منكم ذوو نسبٍ فكم تقدم يسوع المسيح نبي

كتابنا إن تأخر عن كتابكم (فإن في الخمر سرّاً ليس في العنب)

وقد ساعد على إبراز المعنى تضمينه قول المتنبي: (فإن في الخمر سرا ليس في العنب)؛ يقصد أن كل كتاب سماوي نزل لهدف ولغاية، فإمَّا أن يتمسك به أصحابه فيحققون تلك الغاية، وإمَّا أن يتلاعبوا به لتحقيق رغباتهم الخبيثة وشهواتهم الطاغية. أضف إلى ذلك تضمينه الشطر الأول من بائية أبي تمَّام: (السيف أصدق أنباء من الكتب)، الذي يؤكد على خبث نواياهم إذ إنهم لو اتبعوا كتابهم غير المحرف لما كانت هذه فعائلهم وجرائمهم، فكأنه يقصد بهذا التضمين: كتابكم الأول أصدق من الكتب التي حرفتموها، وليس أدل على ذلك من خداعكم واتباعكم لعقولكم وشهواتكم، كما فعل أجدادكم عندما عبدوا العجل وعصوا موسى وأخاه عليهما السلام.

- معارضة الشاعر السوري بطرس كرامة(ت١٢٦٧هـ/ ١٨٥١م) التي يمدح فيها الأمير بشير الشهابي، ويذكر فيها – أيضا – توجهه إلى عكَّا للتعزية في المرحوم المغفور له علي باشا، ومؤرخا توشحه بخلعة الولاية، وذلك سنة (١٢٣٠هـ)؛ حيث يقول[(١)]:(من البسيط)

لك الهناءُ بنيل المجد والنعمِ يا من يقال على أقوالهِ نعمِ

أولاك مولاك إجلالاً ومكرمةً فكنت بين الورى كالمفرد العلمِ

إن أجدب الناس والأنواءُ ماسكةٌ فجود كفيك يغنينا عن الديمِ

(١) ديوان بطرس كرامة(سجع الحمامة)، ١٧٣- ١٧٦. يلاحظ في بعض ألفاظ القافية:(مدحهم – ذكرهم – بفوزهم)، أن الشاعر قد استخدم سناد: (الحذو)، وهو عيب. وعرفه العروضيون على أنه: اختلاف حركة الحرف الذي قبل الردف. المعجم المفصل في علم العروض والقافية وفنون الشعر،٢٧٣.

جاد الإله على هذا الزمان بكم حتى تفاخر أهل الأعصر القدمِ
وإن يكن بالغ المدّاح في سلفٍ لكن فيك خلالاً فوق مدحهمِ
فكلما كرّرت عينٌ بكم نظراً رأت من الحسن معنى قبل لم يُشمِ
تبدي ابتساماً بما توليهِ من نعمٍ فيالها نعماً من خير مبتسمِ
تسقي يمينك للأحباب غيث ندى وللرماح من الأعداء غيث دمِ
ما عمر ما أحنفٌ ما حاتمٌ كرماً فعند ذكراك يطوى نشر ذكرهمِ
ومن يلذ بذرى علياك من وجلٍ إن خاصم الدهر والآساد لم يضمِ
لولا حسامك يا فتاك ما نشدوا (السيف أصدق أنباءً من القلمِ)
إن ضلّ ابن شهابٍ من أجرتَ تهديهِ نسبتك الغراء في الظلمِ
وإن يؤمك يا نعم البشير بنوا الـ آمال كان اسمك البشرى بفوزهمِ
للَه لبنان إذ شرفت قمتهُ بأخمصيك فأضحى مورد الأممِ

يلاحظ أن هذه القصيدة قد جاءت متفقة مع موضوع بائية أبي تمَّام(المدح والتهنئة) على خلاف القصائد السابقة من هذا المبحث؛ لكنها اختلفت في الشكل الخارجي، فجاءت على بحر (البسيط) على روي (الميم)، ممَّا يقضي بوقوعها تحت المعارضات غير الصريحة؛ لكن الشاعر قد التزم الصفات التي تتفق مع غرض المدح- وإن تعدَّى في بعضها كما سنبين- فمدحه كان بالجود والكرم، وقضاء الحوائج، والشجاعة.

وقد اعتمد (بطرس) على بعض الصور التجديدية، وآليات التوظيف الشعري لإبراز تلك المعاني، فعلى سبيل المثال: هذه الصورة التي تقوم على المفارقة؛ حيث يقول:

تسقي يمينك للأحباب غيث ندى وللرماح من الأعداء غيث دمِ

فيمينه جمعت بين الأضداد فهي كرم ورخاء وسلام على الموالين والمحبين له، وعذاب وانتقام من الأعداء يصل إلى حد إراقة الدماء؛ لكننا نأخذ عليه أنه استعمل كلمة: (غيث) في طرفي الصورة، فالغيث دائما يأتي بالخير، فلو كان قال: (سيل دم)، بدلا من قوله: (غيث دم) كان مناسبا -خاصة- في حالة الحرب مع الأعداء.

ومن أمثلة التوظيف للشخصيات ما جاء في قوله:

ما عمْرو ما أحنفٌ ما حاتمٌ كرماً فعند ذكراك يطوى نشر ذكرهمِ

حيث قام بتوظيف بعض الشخصيات، كالأحنف بن قيس الذي اشتهر بالحلم، وحاتم الطائي الذي اشتهر بالكرم، ثم جعل ممدوحه أفضل منها؛ بل إذا ذكر الكرم والحلم والشجاعة لا يذكر إلا الأمير بشير الشهابي، وينسى كل من كان فارسًا في هذه الميادين الأخلاقية العالية! ويمكن القول: إنه تناص مع بيت أبي تمَّام في مدح أحمد بن المعتصم[١] :

إقدام عمرو، في سماحة حاتم في حلم أحنف في ذكاء إياس

والعجيب أن الشاعر فضَّل ممدوحه على عمرو بن العاص ﷺ – إن كان يقصد ذلك – ولا يستبعد أن تقف العصبية الدينية وراء هذا التفضيل، خاصة وأنه فاتح مصر في خلافة عمر بن الخطاب ﷺ وكان من الأجدر به أن يبتعد عن هذه الأساليب التي تؤجج الصراع بين أصحاب العقائد المختلفة.

- معارضة شاعر النيل حافظ إبراهيم(ت١٣٥٠هـ /١٩٣٢م) في رثاء الشيخ/ علي يوسف(ت١٣٣١هـ /١٩١٣م)، صاحب المؤيد، في الحفل الذي أقيم لتأبينه في منزل السادات؛ حيث يقول[٢]:(من البسيط)

صونوا يَراعَ عَلِيٍّ في مَتاحِفِكُم وَشاوِروهُ لَدى الأَرزاءِ وَالنُوَبِ
وَاِستَلهِموهُ إِذا ما الرَأيُ أَخطَأَكُم يَومَ النِضالِ عَنِ الأَوطانِ وَالنَشَبِ
قَد كانَ سَلوَةَ مِصرٍ في مَكارِهِها وَكانَ جَمرَةَ مِصرٍ ساعَةَ الغَضَبِ
في شِقِّهِ وَمَراميهِ وَريقَتِهِ ما في الأَساطيلِ مِن بَطشٍ وَمِن عَطَبِ
كَم رَدَّ عَنّا وَعَينُ الغَربِ طامِحَةٌ مِنَ الرَزايا وَكَم جَلّى مِنَ الكُرَبِ
لَهُ صَريرٌ إِذا جَدَّ النِزالُ بِهِ يُنسي الكُماة صَليلَ البيضِ وَالقُضُبِ
ما ضَرَّ مَن كانَ هَذا في أَنامِلِهِ أَن يَشهَدَ الحَربَ لَم يَسكُن إِلى يَلَبِ

---

(١) ديوان أبي تمَّام بشرح التبريزي، ٢٤٩/٢.

(٢) ديوان حافظ إبراهيم، تح/ أحمد أمين، وأحمد الزين، وإبراهيم الإبياري، الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٨٧م ، ٤٨٦– ٤٨٩.

فَلَــو رَآهُ اِبــنُ أَوسٍ مــا قَــرَأتَ لَــهُ (السَـيفُ أَصـدَقُ أَنبـاءٍ مِـنَ الكُتُـبِ)[1]

أَلا فَتَــــىً عَرَبِــــيٌّ تَســــتَقِلُّ بِــــهِ بَعــدَ الفَقيــدِ وَيَحمــي حَــوزَةَ الأَدَبِ

وَيَمنَــعُ الحَــقَّ أَن يُغشــي تَبَلُّجَــهُ مـا فـي السِياسَـةِ مِـن زورٍ وَمِـن كَـذِبِ

أَودى فَتى الشَرقِ بَل شَيخُ الصَحافَةِ بَل شَــيخُ الوَفائِيَّــةِ الوَضّــاحَةِ الحَسَــبِ

أَقــامَ فينــا عِصــامِيّاً فَعَلَّمَنــا مَعنــى الثَبــاتِ وَمَعنــى الجِــدِّ وَالــدَأَبِ

وَراحَ عَنّــا وَلَــم تَبلُــغ عَزائِمُنــا مَـدى مُناهـا وَلَـم تَقـرُب مِـنَ الأَرَبِ

قــالوا عَجِبنــا لِمِصــرٍ يَــومَ مَصــرَعِهِ وَقَـد عَجِبـتُ لَهُـم مِـن ذَلِـكَ العَجَـبِ

وتلك قصيدة أخرى اعتمدت قانون (الحوار)، فقامت على هدم ومخالفة المفاهيم في بائية أبي تمَّام، فقد اختلفت عن موضوع بائية أبي تمَّام، حيث جاءت في (الرثاء)، وتظهر تلك الحوارية بجلاء عندما قال:

فَلَــو رَآهُ اِبــنُ أَوسٍ مــا قَــرَأتَ لَــهُ السَـيفُ أَصـدَقُ أَنبـاءٍ مِـنَ الكُتُـبِ

حيث يرى حافظ إبراهيم، أن أبا تمَّام لو كان رأى الشيخ/ علي يوسف، لكان غيَّر رأيه في قضية: (تفضيل السيف على القلم)، ولا شكَّ في أن أبا تمَّام لم يكن يقصد كل الكتب التي تسطرها الأقلام؛ وإنَّما خص كتب المنجمين، تلك الكتب السوداء التي تمتلئ بالأكاذيب والأباطيل.

والقصيدة قد التقت مع بائية أبي تمَّام من زاوية الموسيقى، بل ظهر التعالق النصي عند تكراره لبعض من ألفاظ القافية، مثل:(النوب – الكرب – القضب ...)، ومن زاوية (التضمين) عندما استخدم الشاعر قول أبي تمَّام :(السيف أصدق أنباء من الكتب).

---

(١) يلاحظ أن الشاعر قد ضمن المعنى في بيت النويري في كتابه: (نهاية الأرب) الذي يقول فيه:

لـو لاحظـت عـين ابـن أوسٍ كتبـه مـا قـال: (إن السـيف منهـا أصـدقُ)

ينظر: نهاية الأرب: ٣/٢.

• معارضة الشاعر حمَّاد الباصوني(١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م)، حيث يقول[١]: (من البسيط)

قُم في فَمِ الدَهرِ وَانشُر أَصدَقَ الخَبَرِ وَبَشِّـرِ الصـائِمينَ اليَـومَ بِـالظَفَرِ
وَارفَـع لِـواءَ الهُـدى فـي كُـلِّ رابِيَـةٍ وَعَـرِّفِ الخَلـقَ مـا لِلـدينِ مِـن أَثَـرِ
وَجَـدِّدِ الـذِكرَ إِنَّ الـذِكرَ يَنفَعُنـا وَاِستَنهِضِ الشَرقَ مِن بَدوٍ وَمِن حَضَرِ
وَاِحمِـل إِلـى الغَـربِ أَنبـاءً بِنَهضَـتِنا وَدَفعِنـا كُـلَّ مـا لِلغَـربِ مِـن ضَـرَرِ
وَأَبعِـدِ الصَـوتَ لا تَخشـى دَهاقِنَـةً وَقُـل أَتـى النَصـرُ مِـن عَليـاءِ مُقتَـدِرِ
لَعَلَّهُـم يَنظُـرونَ الشَـرقَ مُلتَهِبـاً وَيَـذكُرونَ يَدَيـهِ سـالِفَ العُصُـرِ
وَيَعرِفـونَ لَـهُ فَضـلاً أَهـابَ بِهِـم قِـدماً وَأَقطـاعُهُم كَـالبَهمِ فـي سَـدَرِ
أَو عَلَّهُـم يَحـدِجونَ الشَـمسَ ساطِعَةً فَـوقَ الرِّعـانِ وَفَـوقَ الـدُورِ وَالشَـجَرِ
وَاِستَعرِض الحَـدَثَ الماضـي لِأُمَّتِنـا فَفيـهِ مـا صَـهَرَ الشَـرقِيَّ مِـن عِبَـرِ
وَقُـل لِقَـومٍ أَبَـوا فـي الحَـقِّ مُعتَصِماً مَـن يَعتَصِـم دَهـرَهُ بِـالحَقِّ يَنتَصِـرِ
وَلَـن يَضـيرَ شُـعوباً مـارِقٌ أَشِـرٌ إِنَّ الشُـعوبَ لَفـي حَـرزٍ عَـنِ الأَشِـرِ
مـا دامَ رَبُّـكَ يَحميهـا بِقُدرَتِـهِ فَلَـن تُضـامَ عَلـى الإِصـباحِ فـي نَظَـري
وَجاهِـدوا فـي سَـبيلِ اللَـهِ وَاِعتَصِـموا بِحَبلِـهِ فَهـوَ مِعـوانٌ لِمُنتَظِـرِ
وَمَـن غَفـا أَو وَهـى فَالنيـلُ يَكبِتُـهُ وَالشَـعبُ ينبِـذُهُ فـي أَبشَـعِ الصُـوَرِ

يلاحظ من خلال استعراض أبيات القصيدة أنها اتفقت مع بعض المعاني المبثوثة في بائية أبي تمَّام، لا سيما في معاني الحث على الجهاد في سبيل الله ﷻ؛ حيث استلهم الباصوني من البائية روح النصر والاعتصام بحبل الله ﷻ ملمحًا باسم المعتصم في أكثر من موضع من القصيدة؛ حيث يقول:

وَقُل لِقَومٍ أَبَوا في الحَقِّ مُعتَصِماً مَن يَعتَصِم دَهرَهُ بِالحَقِّ يَنتَصِرِ

وقوله:

وَجاهِدوا في سَبيلِ اللَهِ وَاِعتَصِموا بِحَبلِهِ فَهوَ مِعوانٌ لِمُنتَظِرِ

وعلى طريقة أبي تمَّام في قوله[٢] :

تسعون ألفا كآساد الشرى نضجت أعمارهم قبل نضج التين والعنب

(١) ديوان حماد الباصوني، الموسوعة الشعرية، الإصدار الأول، ٢٠٠٩م،٦٧- ٧٠.

(٢) ديوان أبي تمَّام بشرح التبريزي، ٦٩/١.

عبَّر الباصوني عن سرعة مرور سنوات العمر بقوله[١] :

تسع وعشرون قد مرَّت على عجل كأنما هي لم تحسب من العمر

لكن القصيدة عدَّت من المعارضات غير الصريحة؛ لأنها اتفقت في البحر، فجاءت على وزن(البسيط)، واختلفت في القافية، فجاءت على روي(الراء)، كما أن المدح جاء فيها للرسول ﷺ معللًا مدحه إياه بقوله[٢] :

ويعلم الله والأملاك شاهدة أني بمدحي لا أبغي سوى الظفر

ناهيك عن تأثره بمطلع قصيدة شوقي:(الأزهر)[٣]:

قم في الدنيا وحيِّ الأزهرا وانثر على سمع الزمان الجوهرا

(١) ديوان حماد الباصوني، ٦٨.

(٢) السابق، ٧٠.

(٣) الأعمال الكاملة(الشوقيات)، ١/١٥١.

الخاتمة

وبعد هذه المعايشة مع عدد كبير من المعارضات الصريحة وغير الصريحة لبائية أبي تمَّام في فتح (عمُّورية) في قديم الشعر وحديثه، قد توَّصل البحث لهذه النتائج الآتية.

- ظهر من خلال تتبع المعارضات الصريحة لبائية أبي تمَّام في فتح (عمُّورية) في الشعر القديم والحديث، أن أغلب الشعراء قد تخطوا قانون التناص الأول: (الاجترار) إلى القانون الثاني:(الامتصاص والتحويل)؛ حيث قاموا بامتصاص تلك القصائد وتحويلها لتتمشى مع عصورهم وقدراتهم الفنية والإبداعية.
- استطاع شعراء المعارضات الصريحة التحوُّل من مجرد الوعي السكوني إلى مرحلة الوعي المتجدد والمستمر الذي يحمل في طياته موروثًا عظيماً تستدعيه النفس الشاعرة دون تعمُّل أو تكلُّف؛ ليستمر ركب التطور الشعري عبر العصور الأدبية.
- اتسعت دائرة التناص مع التراث من خلال المعارضات غير الصريحة لبائية أبي تمَّام في الشعر القديم والحديث؛ حيث اعتمد الشعراء على قانون (الحوار) الذي يقوم على الهدم والمخالفة للمفاهيم الثابتة، فلا قداسة لنص شعري؛ وإنَّما العبرة بتفجير الطاقات الكامنة داخل النص لإنتاج النص الجديد، الأمر الذي يؤكد على أن المعارضات التي نشأت بدافع الإعجاب لم يقبع أصحابها تابعين، وإنَّما كانوا في معظم الأحيان متفوقين متخذين لأنفسهم موقعًا فريدًا في ركب فحول الشعراء على مر العصور الأدبية.
- جاءت المعارضات غير الصريحة في أغلبها خاضعة لعملية اللاوعي نتيجة تشبع نفوس الشعراء بتراثهم العظيم والممتد؛ الأمر الذي جعلهم يستدعونه في نصوصهم دون تجهيز أو نية مبيَّتة، ساعدهم في ذلك من آليات التناص آلية: (الإيجاز) التي تعتمد التضمين والاقتباس في مقدمة أدواتها.
- ظهر التطور في أسلوب القصائد التي عارضت بائية أبي تمَّام، من حيث السهولة والعمق، والقوة والجزالة ؛ وروعة التصوير، وجمال المحسنات البديعية، الأمر الذي يؤكد على أن لكل عصر خصائصه وسماته التي يتميز بها عن غيره.

والله الموفق

❖ **المصادر والمراجع:**

- أحمد شوقي: الأعمال الشعرية الكاملة (الشوقيات) ، دار العودة، بيروت، بدون.
- إعادة إنتاج المعنى في الشعر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري، د. محمد نوري عباس، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، ط/١/ ٢٠١٤م.
- إعجاز القرآني، الباقلاني، دار المعارف، مصر، ط/٥، ١٩٩٧م.
- أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن (المعروف بكتاب نثير الجمان...)، ابن الأحمر، تح / د. محمد رضوان الداية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/١، ١٩٧٦م.
- الأعلام، للزركلي، دار العلم للملايين، ط/١٥، ٢٠٠٢م.
- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، عبد المتعال الصعيدي، مطبعة الآداب، المطبعة النموذجية، الحلمية الجديدة، بدون.
- بهجة المجالس وأنس المجالس وشحن الذاهن والهاجس، ابن عبد البر القرطبي، تح/محمد مرسي الخولي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، بدون.
- تاريخ النقائض في الشعر العربي، د. أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية، ط/٢، ١٩٥٤م.
- تحديث مصر في عصر محمد علي، إعداد وتحرير، يونان لبيب رزق، ومحسن يوسف، مكتبة الأسكندرية، ٢٠٠٧م.
- تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، د. محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط/١٩٨٦م.
- تطور الأدب الحديث في مصر، د. أحمد هيكل، دار المعارف، ط/٧.
- التناص التراثي في الشعر العربي المعاصر أحمد العواضي أنموذجا، د. عصام حفظ الله واصل، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، ط/١، ٢٠١١م.
- التناص نظريا وتطبيقيا، د. أحمد الزعبي، مؤسسة عمون للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط/٢، ٢٠٠٠م.
- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، للمحبي، دار صادر، بيروت، بدون.
- دراسات في الشعر في عصر الأيوبيين، محمد كامل حسين، مؤسسة هنداوي للنشر، ٢٠١٧م.
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ابن حجر العسقلاني، تح/محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر اباد ، الهند، ط/٢، ١٩٧٢م.

- دولة الإسلام في الأندلس، محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط/٤، ١٩٩٧م.
- ديوان ابن الوردي: تح/ عبد الحميد هنداوي، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط/١، ٢٠٠٦م.
- ديوان ابن نباتة المصري، الناشر/ الشيخ محمد القليقلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، بدون.
- ديوان أبي الطيب المتنبي، تح/ د. عبد الوهاب عزام، لجنة التأليف والترجمة والنشر، بدون .
- ديوان أبي الوفاء راجح الحلي(ت ٦٢٧هـ)، تح/ الدوكالي محمد نصر، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، الجماهرية العظمى، طرابلس، ١٩٩٤م.
- ديوان أبي تمَّام بشرح التبريزي، تح/ محمد عبده عزام، دار المعارف، ط/٥.
- ديوان أبي عبد الله جمال الدين محمد بن حمير الهمداني، تح/ محمد بن علي بن الحسين الأكوع، دار العودة، بيروت، ط/١، ١٩٩٨م.
- ديوان السيد جرمانوس فرحات، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، ط/٢، ١٨٩٤م.
- ديوان الصاحب شرف الدين الأنصاري، تح/ د. عمر موسى باشا، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٩٦٨م.
- ديوان الطغرائي، تح/ د. علي جواد الطاهر، د. يحيى الجبوري، ط/ دار القلم، الكويت، ط/٢، ١٩٨٣م.
- ديوان المعتمد بن عباد، تح/ أحمد بدوي، و حامد عبد المجيد، وزارة المعارف العمومية، المطبعة الأميرية، القاهرة، ط/١٩٥١م.
- ديوان المقري(مخطوط)، مطبعة نخبة الأخبار، بومباي، الهند، ١٣٠٥هـ.
- ديوان امرئ القيس، تح/ محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط/٥.
- ديوان بطرس كرامة(سجع الحمامة)، المطبعة الأدبية، بيروت، ١٨٩٨م.
- ديوان جميل بن معمر، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٩٨٢م.
- ديوان حافظ إبراهيم، تح/ أحمد أمين، وأحمد الزين، وإبراهيم الإبياري، الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٨٧م .
- ديوان حسان بن ثابت، تح / د. وليد عرفات، دار صادر ، بيروت، ٢٠٠٦م.
- ديوان عبد اللطيف فتح الله، جامعة كاليفورنيا، الناشر/ فرنتس شتاينر، ١٩٨٤م.

- ديوان عمارة اليمني، شرح وتحقيق، عبد الرحمن بن يحيى الإرياني، وأحمد عبد الرحمن المعلِّمي، بدون.
- ديوان عمر بن أبي ربيعة، تح/د. فايز محمد، دار الكتاب العربي، ط/٢، ١٩٩٦م.
- ديوان لعيني أم بلقيس، عبد الله البردوني، دار العودة، بيروت، ط/٢.
- ديوان محمد الشاذلي خزنه دار، الدار التونسية، ١٩٧٢م.
- ديوان محمد شهاب الدين محمود(مخطوط)، الشبراوي المطبعجي، ١٢٧٧هـ.
- رجال من بلادي، نجيب البعيني، دار الريحاني، بيروت، ١٩٨٤م.
- الرسالة الموضحة في ذكر سرقات أبي الطيب المتنبي وساقط شعره، لأبي علي الحاتمي، تح/ محمد يوسف نجم، دار صادر، ودار بيروت، ١٩٦٥م.
- الروض النضر في ترجمة أدباء العصر، عصام الدين عثمان بن علي بن مراد العمري، تح/ د. سليم النعيمي، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بدون.
- زهر الآداب وثمر الألباب، الحصري القيرواني، دار الجيل، بيروت، بدون.
- الشعر والشعراء، ابن قتيبة، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣هـ.
- صور من المعارضات في الشعر، د. إيمان الجمل، عالم الكتب الحديث، إربد ، الأردن، ط/١، ٢٠١٤م.
- صورة الفلك والتنجيم في الشعر العباسي، فواز أحمد طوقان، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط/١، ٢٠١٢م.
- طيب السمر في أوقات السحر(مخطوط)، القاضي شرف الدين بن أحمد الحيمي، مخطوطات جامعة الملك سعود، الناشر: وقفية الأمير غازي للفكر القرآني.
- ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب: مقاربة بنيوية تكوينية، دار العودة، بيروت، لبنان، ط/١، ١٩٧٩م.
- عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي، د. محمود رزق سليم، مكتبة الآداب، ط/١، ١٩٦٥م.
- العقد الثمين من شعر ابن عثيمين، سعد بن عبد العزيز رويشد، مطابع دار الهلال للأوفيست، الرياض، ط/١، ١٩٨٠م.

- العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، علي بن الحسن الخزرجي، تح/ محمد بسيوني عسل، ومحمد بن علي الأكوع، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، دار الآداب، بيروت، لبنان، ط/١، ١٩٨٣م.
- قراءات في الشعر العربي الحديث، د. عبد الحميد بدران، دار الأدباء للنشر والتوزيع، ط/١، ٢٠١٧م.
- كتاب الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٢م.
- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط/٣، ١٤١٤هـ.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، تح/ أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة.
- مجمع الأمثال، الميداني، تح/ محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، لبنان، بدون.
- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، شهاب الدين أحمد بن يحي العدوي العمري، المجمع الثقافي، أبو بي، ط/١، ١٤٢٣هـ.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، تح/ شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط/١، ٢٠٠١م.
- المعارضات الشعرية (أنماط وتجارب)، د. عبد الله التطاوي، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٨م.
- المعارضات الشعرية دراسة تاريخية نقدية، د. عبد الرحمن إسماعيل ، النادي الأدبي ، جدة، ١٩٩٤م.
- المعارضات في الشعر الأندلسي(دراسة نقدية موازنة)، يونس طركي سلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط/١ ، ٢٠٠٨م.
- المعارضة في الأدب العربي، د. إبراهيم عوضين، ط/١، ١٩٨١م.
- المعجب في تلخيص أخبار المغرب، عبد الواحد المراكشي، تح/ د. صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، ط/ ١، ٢٠٠٦م.
- معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، ط/٢، ١٩٩٥م.

- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة، و كامل المهندس، مكتبة لبنان، بيروت، ط/٢، ١٩٨٤م.
- المعجم المفصل في الأدب، د. محمد النوتجي، دار الكتب العلمية، ط/٢، ١٩٩٩م.
- المعجم المفصل في علم العروض والقافية وفنون الشعر، د. إيميل يعقوب، دار الكتب العلمية، بيرت، لبنان، ط/١، ١٩٩١م.
- من حديث المعارضات الأدبية، د. عبد الوارث الحداد، مطبعة السعادة، ط/١، ١٩٨١م.
- الموازنة بين أبي تمَّام والبحتري، الآمدي، تح/ السيد أحمد صقر، دار المعارف، ط/١.
- مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، الحطاب الرعيني المالكي، دار الفكر، ط/ ٣، ١٩٩٢م.
- النص الغائب (تجليات التناص في الشعر العربي)، د. محمد عزام، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١م.
- النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية، عمارة اليمني، تح/ هرتويغ درنبرغ، مطبعة مرسو، مدينة شالون على نهر سون، ١٨٩٧م، وأعادت طبعه بالأوفيست مكتبة المثنى ببغداد.
- نهاية الأرب في فنون العرب، النويري، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط/١، ١٤٢٣هـ.
- النور السافر عن أخبار القرن العاشر، محي الدين بن العيدروس، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ.
- الوافي بالوفيات، الصفدي، تح/ أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، تح/ إحسان عباس، دار صادر، بيروت، بدون.

❖ **الرسائل العلمية، والدوريات والمجلات، والمواقع الإلكترونية:**

- الأفضلية بين السيف والقلم في الشعر العربي،،حسن شهاب الدين، دار اليمامة للبحث والنشر والتوزيع ، م/٥٥، ع/ ١١، ١٢.
- بوابة الشعراء =https://poetsgate.com/poem.php?pm
- تداعيات المدائح النبوية على البيئة في العصر المملوكي، د. عزت ملا إبراهيمي، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، ع ٣٤، ٢٠١٧م.

- التناص في المعارضات الشعرية: أنواعه وآلياته: معارضة ابن عثيمين لبائية أبي تمَّام أنموذجا، سمية بنت رومي بن عبد العزيز، مجلة العلوم الشرعية واللغة العربية، جامعة الأمير سطام بن عبد العزيز، ع/٩، ٢٠٢٠م.
- ديوان ابن القيسراني، المكتبة الشاملة الذهبية، بدون.
- ديوان أحمد تقي الدين، موسوعة الشعر العربي، الإصدار الأول، ٢٠٠٩م.
- ديوان حماد الباصوني، الموسوعة الشعرية، الإصدار الأول، ٢٠٠٩م.
- شعر الفتوحات والمعارضات، أميرة رمضان محمد، مجلة كلية العلوم، جامعة الفيوم، م٦٥، ع١، ٢٠٢٤م
- الشهرة معيارا في كتب الاختيارات الشعرية، صبا عبد الستار، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، ع/ ١٨، ٢٠١٤م.
- عينية ابن سينا معارضاتها وأثرها في الشعر العربي، د. عبد الحميد بدران، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، م/٤٠، ع/٩١، ٢٠١٦م.
- فن المعارضات في الشعر المغربي(تأثر وإبداع)، فاطمة الزهراء، مجلة الآداب، المركز الجامعي، سي الحواس، بريكة، باتنة ، الجزائر، م/٢٠، ٢٠٢٠م.
- محمد البزم شاعر الوطن والإنسان واللغة، https://www.esyria.sy/.
- معاهدة سيفر، https://ar.wikipedia.org/wiki/%D،
- مقال في جريدة اللواء، بعنوان (أيام بيروتية)، لعبد اللطيف فاخوري، تاريخ الإضافة ٢١من كانون الأول ٢٠١٩م.
- مقدمات قصائد ابي تمَّام وعلاقتها بمضمون القصيدة، الباحثة/ نادية بنت حسن ضيف، رسالة ماجستير، المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية،٢٠٠٨م.
- المؤتلف والمختلف في شعر المعارضات معارضة البردوني لأبي تمَّام نموذجا، د. محمد الصديق بغورة، جامعة المسيلة، الجزائر، مجلة القارئ للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية، م/٤، ع٢.
- الموسوعة التاريخية، مجموعة من الباحثين، https://dorar.net/history/event

- موسوعة ويكبيديا:

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D٨٪A٧٪D٩٪٨٤٪D٩٪٨٦٪D٨٪B٣٪D٨٪B١_%D٨٪A٧٪D٩٪٨٤٪D٩٪٨٨٪D٨٪A٧٪D٩٪٨٢٪D٨٪B٩

- موقف الدولة العثمانية من الحرب العالمية الأولى ونتائجه١٩١٤م-١٩٢٤م، حسن عوض الكريم علي، مجلة جامعة شندي للعلوم الإنسانية والجتماعية، ع/٤، ٢٠٢٢م.
- نص المعارضة وإعادة إنتاج المعنى: دراسة في معارضات الإحيائيين، محمود فرغلي علي، مجلة علامات، ع٧٩، ٢٠١٤م.
- نظرية التناصية، ترجمة: الرحوتي عبد الرحيم ، مجلة علامات، ج٢١، م/ ٦، ط/١، ١٩٩٦م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الملخص باللغة العربية	١٧٧
الملخص باللغة الإنجليزية	١٧٨
المقدمة	١٧٩
التمهيد المعارضة: المصطلح والنشأة والدوافع	١٨٢
المبحث الأول: المعارضات الصريحة لبائية أبي تمَّام	١٩٠
المحور الأول: من المعارضات الصريحة لبائية أبي تمَّام في الشعر القديم	١٩١
المحور الثاني: من المعارضات الصريحة لبائية أبي تمَّام في الشعر الحديث	٢٠١
المبحث الثاني: المعارضات غير الصريحة لبائية أبي تمَّام	٢١١
المحور الأول: من المعارضات غير الصريحة لبائية أبي تمَّام في الشعر القديم	٢١٤
المحور الثاني: من المعارضات غير الصريحة لبائية أبي تمَّام في الشعر الحديث	٢٢٨
الخاتمة	٢٣٥
المصادر والمراجع	٢٣٦
فهرس الموضوعات	٢٤٣